الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة

مهرجان تراتيل سجادية العاشر

جينيالوجيا الأخلاق

في تراث الإمام السجاد عليه السلام

مقاربة سيسيولوجية

تأليف
أ.م.د محسن كاظم مشالي

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : جينيالوجيا الأخلاق في تراث الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ

إعـداد : أ.م.د محسن كاظم مشالي

الناشر : الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة - مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الإشراف والتنسيق والمتابعة : السيد جمال الدين الشهرستاني

المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطباعة : الأولى

سنة النـشر : ٢٠٢٤م - ١٤٤٦هـ

عدد الصفحات : ٤٢٤

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخازن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وعلم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصّلاة، والسّلامُ على خير من مشى على الأرض، وسيّد الأنام أبي القاسم محمّد، وعلى آله البدور التِّمام....

وبعدُ...

فبفضلِ الله عزّ وجلّ، ومنّهِ وصلْنا إلى النُّسخةِ العاشرة من مهرجان(تراتيل سجّاديّة) المخصّص في سيرة، الإمام السّجّاد، وحياته، وتراثه، ولكلّ سنةٍ شعارٌ، ومشاركون جددٌ، ومطبوعاتٌ جديدة، وباحثون يقدّمون بحوثَهم على قاعات الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة إنّ قيمة الصحيفة السجّاديّة(زبور آل محمّد) واضحةٌ في أعداد الشروح التي تناولتْها، والأعلام الذين اشتغلوا بها، وعليها، والصّحيفة هي من نتاج حياة الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ؛ فكان التّركيز من قبل علمائنا، وكتّابنا، و أدبائنا على هذا الإرث الثريّ بالتّقوى، والعلم، والأدب، والهداية.

إنّ ما يثير الدهشة، والانتباه وفي لقاءاتنا مع المفكّرين، وعلماء الأديان الأخرى، ولا سيّما المسيحيّون وجدتُ لديهم الاهتمامَ الكبيرَ بالصّحيفة السجاديّة، والمناجاة الخمس عشرة، ورسالة الحقوق للإمام زين العابدين(عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ونحن نقدّم لكم هذ الكتاب مشاركةً، ودعمًا لمكتبة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) علمًا أنّ الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، وبتكليفها إدارة المهرجان لاستقبال كلّ ما يصدر من جديدٍ في الإمام زين العابدين السجّاد(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وطوال العام.

السيد جمال الدين الشهرستاني
رئيس اللجنة التحضيرية
لمهرجان تراتيل سجادية

الاهداء

إلى سليل النور

ونفحة الحكمة الإلهية في الأرض

إلى ابن من دنا فتدلّى،

فكان حبل الله الممدود بين السماء والأرض

إلى الحجة في الآبدين

مولاي علي بن الحسين السجاد عليهم السلام

أضع كتابي هذا على عتبتك المقدسة

الفصل الأول
المدخل المفاهيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبعد:

تصنف الجنيالوجيا ضمن الإطار المعرفي على أنها علم يستهدف دراسة نسب عائلة ما عودًا بالتاريخ. ومن ثم دراسة الأخلاق بهذا اللحاظ هي دراسة تاريخية، وهي محاولة لدراسة المفاهيم الأخلاقية في أحواضها المعرفية الأصيلة، لنعرف كيفية ظهورها على مسرح الحياة عبر التاريخ وتأثيراتها الاجتماعية، ومن ثمة فإن ملاحظة هذه الدراسة بلحاظ الإمام السجاد "عليه السلام"، تكتسب أهمية كبيرة حيث إن استخدام الجنيالوجيا بدلاً من التأريخ له دلالة أيضًا، إذ كما تدرس الجنيالوجيا عائلة واحدة متجاهلة البقية، سيدرس بحثنا الأخلاق الإسلامية في تراث الإمام السجاد عليه السلام.

حيث يمكن أن نستلهم المعنى الأخلاقي الأصيل غير المشوب بالفلسفات الإنسانية التي واكبت المصطلح وتداخلت مع مفاهيمه وآليات تطبيقه على الفرد والمجتمع، ومن هنا فليس الحديث عن الإمام السجاد عليه السلام حديثا عن أي شخص آخر؛ بل هو حديث عن النشأة والتأسيس ومن ثم كان الحديث في جينيالوجيا الأخلاق حديثا عن الاصالة التي إذا ما فطن لها الفرد فسوف تكون مدعاة للتغيير والإصلاح وتنقية الداخل مما علق به من أدران العالم الذي نعيش فيه.

حينها يبدأ المسلم الفرد؛ ليقوم بدوره بالإصلاح والتغيير، ثم ينطلق نحو الآخرين فيختار وينتقي من يراه مؤهلا للمشاركة في عملية البناء والتغيير، وتحدي الواقع المختلف عما أنزله الله سبحانه وتعالى من الحق والهدى؛ ليكون بذلك النواة الأولى التي تواجه الباطل والفساد في الأرض.

وهكذا بدأ الأئمة وقبلهم رسل الله تعالى: وأنبياؤه **(عليهم الصلاة والسلام)**؛ فكان مع كل نبي حواريون يمثلون اللبنة الأولى للتغيير؛ ثم تبدأ

عمليـة التعميم والانتشـار، حتـى تصـبح الـدعوة إلـى النهـوض والتغييـر والإصـلاح تيـارا اجتماعيـا عارمـا، لا يسـتطيع أهـل الباطـل الوقـوف أمامـه، ولا التصـدي لـه، قـال تعـالى: **(يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا كُونُـوا أَنْصَـارَ اللَّهِ كَمَـا قَـالَ عِيسَـى ابْـنُ مَـرْيَمَ لِلْحَـوَارِيِّينَ مَـنْ أَنْصَـارِي إِلَـى اللَّهِ قَـالَ الْحَوَارِيُّـونَ نَحْـنُ أَنْصَـارُ اللَّهِ فَآمَنَـتْ طَائِفَـةٌ مِـنْ بَنِـي إِسْـرائيلَ وَكَفَـرَتْ طَائِفَـةٌ فَأَيَّـدْنَا الَّـذِينَ آمَنُـوا عَلَـى عَـدُوِّهِمْ فَأَصْـبَحُوا ظَاهِرِينَ)** [1].

والمعنـى: انصـروا ديـن الله كمـا نصـر الحواريـون ديـن الله لمـا قـال لهـم عيسـى مـن أنصـاري إلـى الله قـال الحواريـون نحـن أنصـار الله، فأصـبحت حجـة مـن آمـن بعيسـى ظـاهرة بتصـديق محمـد **(صَـلَّى اللَّهِ عَلَيْـهِ وآلـه)** أن عيسـى روح الله وكلمته[2].

مـن هنـا أحببـت اختيـار موضـوع بحثـي الموسـوم (جينيالوجيـا الأخـلاق فـي تـراث الإمـام السـجَّاد "عليـه السـلام"- مقاربـة سيسـيولوجية -) لاستكشـف عـالم الأخـلاق النبـوي بمـا يمتلكـه الإمـام السـجاد (عليـه السـلام) مـن رؤيـة شـمولية معصـومية لكافـة منـاحي الحيـاة وبخاصـة فـي فهـم الأخـلاق وطبيعـة تكوينهـا ومصـادرها حتـى لا نبقـى نـدور مـع فلسـفات وافـدة لـم تعـد تشـفي العليـل أو تـروي الغليل.

حيـث مثَّلـت الصـحيفة السـجادية ورسـالة الحقـوق كنـزا معرفيـا وخزينـا غنيا بالطرق والمسالك التي من شانها رسم صورة واضحة المعالم للأخلاق..

---

[1] سورة الصف، الآية: 14.

[2] لُبَـاب التَّأْوِيـل فِـي مَعَـانِي التَّنْزِيـل المعـروف ب تَفْسِـيْر الخـازن، لعـلاء الـدِّين علـي بـن مُحَمَّـد بـن إبْـرَاهِيم البَغْـدَادي الصـوفي المعـروف بالخـازن، مطبعـة مصـطفى البـابي الحلبـي، مصـر، ط2، 1955م: 6/ 93.

المبحث الأول

تحديد المصطلحات وحصر المفاهيم

المطلب الأول: التعريف بالإمام السجاد عليه السلام.

- **أسمه الشريف ونسبه.**

"اما اسمه الشريف فقد سماه خير خلق الله كلهم جده الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) حيث روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): دخل عليه الحسين، فضمّه إليه وقبّله وأقعده إلى جنبه، ثم قال: يولد لابني هذا ابن يقال له علي بن الحسين إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بُطنان العرش: ليقم سيّد العابدين فيقوم هو"[1].

الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وجدته فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبضعته، أبوه الإمام الحسين (عليه السلام) أحد سيدي شباب أهل الجنة، أمه أسمها (شهربانو) أو (شهربانويه)أو (شاه زنان)بنت يزدجر اخر ملوك فارس[2].

"وقد عُرف بين المؤرخين والمحدّثين بابن الخيرتين؛ لأنّ أباه هو الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وأمّه من بنات ملك الفرس كسرى، أُسرت في إحدى الحروب وعُرض عليها الزواج فاختارت الإمام

---

[1] بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: 1111هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، 1403 ه: 46/ 7؛ ينظر: تاريخ مدينة دمشق، الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: 571 هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر دمشق، د. ط، 1419هـ: 54/ 276؛ تذكرة خواص الامة في خصائص الأئمة، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله سبط بن الجوزي (ت: 654هـ)، مؤسسة أهل البيت، بيروت، د. ط، د. ت: ص291.

[2] ينظر: اعلام الهداية، الامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)،لجنة تأليف، المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت(عليه السلام)، لبنان، د. ط، 1430هـ: 6/ 19 – 48.

الحسين (عليه السلام) فتزوجها تكريماً لها، وقد روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم): إنّ لله في عباده خيرتين: فخيرته من العرب بنو هاشم، وخيرته من العجم فارس"[1].

- **ولادته.**

"ولد الإمام (السجاد) علي بن الحسين عليهما السلام في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة النبوية الشريفة في شهر شعبان، واختلف المؤرخون في يوم ولادته ومكانها، فبعضهم قال: إنّه ولد في الكوفة"[2]،"فيما قال آخرون إن ولادته كانت في يثرب"[3].

"عاش حوالي سبعاً وخمسين عاماً، قضى بضع سنين منها في كنف جدّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم نشأ في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي رسول (الله صلى الله عليه وآله وسلم)، واستقى علومه من هذه المصادر الطاهرة"[4].

- **"كنيته (عليه السلام).**

للإمام السجاد(عليه السلام) اربع كنى: أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد، أبو عبد الله

- **ألقابه(عليه السلام).**

---

[1] بحار الانوار، العلامة المجلسي: 46/ 4؛ ربيع الأبرار في نصوص الاخيار، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت: 538هـ)، تحقيق عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، 1412هـ: 1/ 334، رقم 73.

[2] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت: 1089هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت: 1/ 104.

[3] الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة (عليهم السلام)،علي بن محمد بن احمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت: 855هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، 1408هـ: ص187.

[4] الامام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسة تحليلية، مختار الاسدي (معاصر)،مركز الرسالة، د. ط، د. ت: 1/ 12.

أما ألقابه السامية فهي تخاطب توجهاته الخيرة، وما اتسم به من محاسن الصفات ومكارم الاخلاق، وعظيم الامتثال والطاعة والخضوع والعبادة لله، وهذه بعضها:

زين العابدين، سيد العابدين، ذو الثفنات[1]، السجاد، الزكي، الامين، ابن الخيرتين"[2].

وما يهمنا في المقام معرفة سبب تسميته بالسجاد، حيث "قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: إن أبي علي بن الحسين ما ذكر الله عز وجل نعمة عليه إلا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجود إلا سجد، ولا دفع الله عز وجل عنه سوءا يخشاه أو كيد كائد إلا سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده، فسمي السجاد لذلك"[3].

---

[1] الثفنة من البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ كالركبتين. ولعلّ وجه إطلاق (ذو الثفنات) على السجّاد عليه السلام كثرة سجوده بحيث صار مواضع سجوده ذا ثفنة وكان يقطعها في السنة مرتين، في كل مرة خمس ثفنات، فسمي ذا الثفنات لذلك. ينظر: بحار الانوار، العلامة المجلسي: 36/ 260.

[2] ينظر: تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي: ص291. (لمعرفة المزيد من اسباب الكنية والالقاب). ينظر: عبادة الامام زين العابدين وشرح الصحيفة السجادية، باقر شريف القرشي (ت: 2012م)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف– مؤسسة الامام الحسن (عليه السلام)، النجف الاشرف، د. ط، 1435هـ: ص20– 24.

[3] بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: 1111هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، 1403هـ: 83/ 201.

المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق.

تأتي مادة (خلق) في اللغة بعدة معان[1] أشهرها:

بمعنى التقدير والإبداع ومنه قوله تعالى: (خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ)[2].

وبمعنى البالي، ومنه قولهم: ثوب خَلِقٌ: أي بالٍ.

وبمعنى السجية، والطبع والمروءة، ومنه قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[3].

وخص الخلق – بفتح الخاء– بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصَّ الخلق – بضم الخاء – بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة.

أما المعنى الاصطلاحي للخلق فقد عرفه علماء السلوك بعدة تعريفات منها:

- عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروّية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منه الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خُلقاً سيئاً، وإنما قلنا: أنه هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالةٍ عارضة، لا يقال: خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلّف السكوت عند الغضب بجهدٍ أو روّية لا يقال: خُلُقه الحلم.

وليس الخُلق عبارة عن الفعل؛ فرب شخص خلقه السخاء، ولا يبذل: ((إما لفقد المال، أو لمانع، وربما يكون خُلقه البخل، وهو يبذل لباعث أو رياء))[1].

---

[1] لسان العرب، ابن منظور: 86/10؛ وينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، 1978م: 229/3.

[2] سورة العنكبوت، الآية: 44.

[3] سورة القلم، الآية: 4.

وذهب بعضهم إلى أن الخُلق هو حال النفس، لها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا عمل، وكالشجاعة والحلم، والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة[2].

ويعرف ابن مسكويه الأخلاق فيذكر أن (الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها، من غير فكرٍ، ولا رويّة وهذه تنقسم على قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو نصب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتُّم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروَّية والفكر، ثم يستمر أولاً فأولاً، حتى يصير ملكة وخلقاً) [3].

أما تعريف الأخلاق عند فلاسفة اليونان، فقد اختلفت آراءهم ومذاهبهم في تحديد هذا المفهوم، ويلخص لنا أحد الباحثين مفهوم الأخلاق من خلال الاتجاهات المختلفة التي يؤمن بها الفلاسفة إذ قسموا هذه الاتجاهات على أربعة اتجاهات يمكن توضيحها كما يأتي:

---

[1] أي من غير تردد، ومن غير تأخر عن الوقت المناسب (وهو ما لا نسلم به). التعريفات، الجرجاني: ص102.

[2] تهذيب الأخلاق، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 55هـ)، دار الصحابة للتراث، القاهرة، د. ت: ص12.

[3] تهذيب الأخلاق، أحمد بن يعقوب (ت: 421هـ)، بيروت، ط1، 2001م: ص39-41.

أ- الاتجاه الاجتماعي الوسطي: ومن أصحابها (ليفي يزل) إذ أعطى ثلاث معاني لكلمة أخلاق وهي:

1- كلمة الأخلاق تطلق على المجموعة من الأفكار والأحكام والعواطف والعادات التي تتصل بحقوق الناس وواجبات بعضهم تجاه البعض والتي تجد القبول والاعتراف من قبل أفراد في حضارة أو عصر معين.

2- تطلق على العلم الذي يدري هذه الظواهر، وعلم الأخلاق يدرس هذه الظواهر، إذ يتميز عن العلوم الطبيعية التي تدرس هذا العلم أيضاً بأنه يدل على العلم والموضوعية.

3- تطلق الأخلاق على تطبيقات هذا العلم إذ يكون تقدم الحياة الاجتماعية كزيادة العدالة والتعاون والأمن منطلقاً من تقدم الأخلاق[1].

ويحدد دوركايم خصائص الأخلاق بالواجب والخير كقاعدة للسلوك الاجتماعي من حيث أنه يحدد للسلوك الإنساني غاية خيرة، وواجبات لتحقيق الخير[2].

ب- الاتجاه المثالي، ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك الإنساني ينبغي أن يكون وفقاً للمثل التي توجب على العقل الإنساني أن يلتزم بها في سلوكه كواجب لا كفاية، فالأخلاق تصبح على هذا الأساس علم معياري لا وضعي، ويعد (كانت) من أنصار هذا الاتجاه إذ يتفق في اتجاهه العقلي مع الاتجاه العقلي اليوناني في الأخلاق الذي يتمثل لدى سقراط وأفلاطون وأرسطو[3].

---

[1] الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، بيروت، د. ط، د. ت: ص34.

[2] التربية الأخلاقية، أميل دور كايم، ترجمة: محمد بدوي، القاهرة، د. ط، د. ت: ص117.

[3] الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، يالجن: ص34.

جـ- الاتجاه النفعي: إذ يرى البعض منهم أن الطبيعة الإنسانية طبيعة أنانية تعمل لمصلحة الذات، وقد أوجد الإنسان المبادئ الأخلاقية ليتخذها وسيلة لتحقيق المنفعة، ويلاحظ أن مذهب اللذة الفردية والمنفعة تجمعها صفة الأنانية[1].

وقد عرف الأخلاق عدد كبير من المعاصرين منهم:

(لوسن) بأنها ((مجموع متفاوت النسق من التجديدات المثالية والقواعد والغايات يجب على الإنسان –منظوراً إليه على أنه مصدر مطلق إن لم يكن شاملاً للمستقبل – أن يحققها بفعله في الوجود حتى يزداد هذا الوجود قيمة)) [2].

كما عرفت الأخلاق على أنها ((عبارة عن مجموعة من الضوابط والقيم المحددة للسلوك السوي للفرد والمجتمعات، فهي مرشد للسلوك، ضابط للتصرفات، وأي خروج عنها يعرض لنوع من الجزاء سواء في صورته الإيجابية أم السلبية، فقد يكون الجزاء إيجابياً فيأخذ صورة العقاب، وقد يكون سلبياً فلا يخرج عن الاستنكار وعدم التأييد)) [3].

وفي هذا التعريف نجد ((لوسن)) قد حصر تعريف الأخلاق بالغاية، وهذا لا ينسجم مع قواعد التعريف وموضوعيته بأن التعريف بالغاية غير تام، كما تتلخص عبارته بقوله:

---

[1] الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، يالجن: ص35؛ وينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، مجموعة مؤلفين، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدّة، د. ط، 2006م: 22/1.

[2] الأخلاق النظرية، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، القاهرة، د. ط، 1975م: ص1.

[3] العلاقات العامة الإنسانية، إبراهيم عبد الرحمن وعماد الجربتلي، مطابع الشرق، بيروت، د. ط، د. ت: ص50.

إن الأخلاق هي: تحديد السلوك الإنساني بشرط أن نفهم من هذا التحديد الطريقة التي بها تحدد، والتحديد المقتضى من الذات بوصفه محدداً للقيمة وغرضه أما الذات أو الأنا: يقرر لنفسه غاية معينة، فقد اتجه إلى أن الغاية هي التي تقرر المصير وهي مهمة علم الأخلاق، والغاية في واقعها من النتائج[1].

أما (جون لوك) فقد جعل الأخلاق مقياساً للسلوك الإنساني، وأعتقد أن القواعد الأخلاقية ليست من وضع الجماعة السياسية، وليست من وضع البشر، بل هي قانون الله، إلا أنه أنكر أن تكون المبادئ الأخلاقية مفطورة في العقل الإنساني[2].

وهناك فلاسفة أنكروا أن الأخلاق مستمدة من الدين أو الفطرة وزعموا أنها تصدر عن المجتمع، إذ قال (هليفتوس): يجب أن لا تقوم الأخلاق على الدين واللاهوت بل على علم الاجتماع، كما أن حاجات المجتمع المتغيرة لا وحي العقيدة الثابتة لا تتغير هي التي ينبغي أن تقرر الخير[3].

وممَّا تقدم يظهر لنا أن مستقر الأخلاق إنما هي داخل النفس الإنسانية، وأن النفس وعاء تستقر فيه هيئات وصفات معينة راسخة هي التي تحدد نمط السلوك والتصرف الذي يصدر من الإنسان على صعيد الواقع، وما السلوك الإنساني إلا انعكاس هذه الهيئات والصفات المستقرة في النفس الإنسانية[4].

---

(1) علم الأخلاق ودوره في تحسين السلوك، ثروت حسن مهنا، الزقازيق، د. ط، د. ت: ص1.

(2) قصة الفلسفة الحديثة، زكي نجيب محمود وأحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط5، 1965م: 144/1.

(3) الأخلاق في الفلسفة الحديثة، أندريه كريسون، ترجمة عبد الحليم محمود وأبي زكريا، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ط، 1948م: ص59.

(4) النظم الإسلامية، منير حميد البياتي وفاضل شاكر النعيمي، بغداد، ط1، 1987: ص68.

واهتم علماء النفس في العصر الحديث بالأخلاق، فعلاقة علم النفس بالأخلاق متينة وقديمة إذ أن الخلق هو سلوك إنساني ناشئ عن عوامل داخلية بالدرجة الأولى من غرائز وانفعالات وغيرها من الميول والرغبات والإرادة واللذة والألم وهذه كلها من خصائص علم النفس[1].

وإذا كان الخلق هو صفة النفس الباطنة، ويدرك بالبصيرة والسلوك وهو أيضاً صورة النفس الظاهرة ويدرك بالبصر، فإن العلاقة بينهما هي علاقة الدال بالمدلول فإذا كان سلوك الشخص حسناً محموداً كان خلقه محموداً وإذا كان سلوكه سيئاً مذموماً كان خلقه كذلك[2].

وفي ضوء ذلك لم يفرض الإسلام المبادئ الأخلاقية على السلوك الإنساني الظاهري فقط بل فرضها أيضاً على السلوك الباطني لأن الحياة قسمان: ظاهر محسوس، وباطن غير محسوس.

وأهمية الأخير لا تقل عن أهمية الأول بل أن مظاهر الأول ما هي إلا انعكاس للآخر[3].

وبهذا كانت الأخلاق الإسلامية مركزة في الحياة الباطنة في الدرجة الأولى لأنها إذا كملت واستقامت كملت الآخرى واستقامت[4].

---

[1] دلالة السلوك الأخلاقي، د. أحمد الخاني: ص26.

[2] المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د. ط، 1978م: 141/1.

[3] علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن: ص89.

[4] علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن: ص89.

وقد صنف الباحثون في علم النفس عوامل منها وراثية ومنها عوامل بيئية، فالعوامل الوراثية تشير إلى الصفات والخصائص التي تنتقل للإنسان من والديه بصورة مباشرة عن طريق الآليات الوراثية، ومع أن كلاً من هو نسخة فريدة يمتلك جينوم وراثي خاص إلا أن ذلك اللجينوم الذي يتكون من (46) كروموسوم قد ورثنا نصفه من أمهاتنا في تكوين أول خلية جينية (النطفة الأمشاج) عند بداية تكوينها، والجينوم الذي ورثناه من آبائنا يمثل مجموعة المادة الوراثية التي ستحتويها خلايانا وهي تتضمن كل الموروثات (الجينات) وهي تمثل الأساس الحيوي لكل صفاتنا وخصائصنا التي نرثها من آبائنا وأمهاتنا. وهناك تأثيرات بيئية كالمناخ والتضاريس الطبيعية لها أثر السلوك البشري[1].

وبعد كل هذه التعاريف نحاول الوصول إلى تعريف للأخلاق، يتوافق مع نظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان، وهو:

((قوة في النفس راسخة تنزع بها في يسر وسهولة دون تكلف إلى اختيار ما هو خير وصلاح أو شر أو جور وذلك بمعيار الشرع الإلهي والفطرة السليمة))[2].

وبالتالي الخلق هو قوة في النفس راسخة في الإرادة لأن الفعل الذي لا يصدر عن إرادة لا يعد فعلاً أخلاقياً وليس مجالاً للمدح أو للذم وهذا الفعل يجب أن يكون راسخاً في النفس أي مستقر فيها.

---

[1] الحديث النبوي الشريف وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط6، 2006م: ص262.

[2] الأخلاق العملية في القرآن، ماجد عبد الله العصيمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ط، 1428هـ: ص16.

وأما الضابط الأخير في التعريف وهو أن المعيار الذي يحدد الخير والشر أو مصدر الأخلاق هو الوحي الإلهي والفطرة السليمة، وهو يحسم الجدل الفلسفي حول هذه القضية في نظرة الإسلام، لأن صاحب السلطة في فرض ما هو خير وما هو شر هو الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان وصدق الله حيث يقول: (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[1].

المطلب الثالث: مصادر الأخلاق.

قبل الحديث عن مصدر الأخلاق في الإسلام لابد من بيان الاتجاهات الفلسفية الأخلاقية التي لم تتفق على مصدر واحد لتقويم سلوك الإنسان، ولم تحدد له مرجعاً سلوكياً أخلاقياً يحتكم إليه، فهناك عدة مذاهب منها:

1- يرى أصحاب هذا المذهب أن المجتمع بأعرافه وعاداته هو مصدر الأخلاق ومقياسها، ورأوا ضرورة احترامها وأن تقويم الحياة على أساسها، ومن خالف يعاقب[2].

إن نظرة بسيطة تبين لنا أن العرف متغير وغير ثابت، إذ يختلف باختلاف الزمان فما كان مألوفاً متعارفاً عليه في القديم قد يتغير ويصبح منكراً ومستهجناً عند الناس.

---

[1] سورة الملك، الآية: 14.

[2] الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، دراسة مقارنة، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1973: ص20.

2- أصحاب المذهب الثاني يعتقدون أن العقل البشري يصلح أن يكون مصدراً للأخلاق ومقياساً وضابطاً فما يراه العقل خيراً يكون خيراً، وما يراه شراً يكون شراً، وما يراه فضيلة يكون فضيلة، وما يراه رذيلة يكون رذيلة[1].

معروف إن العقل هو أعظم نعم الله سبحانه وتعالى، لكن له حدوده وقدراته، مع ما فُطر الناس عليه من اختلاف تلك القدرات والحدود، وقد تبين قصور العقل عن إدراك بعض ما يحيط به ويدور في فلكه، فلا يمكن أن يكون العقل هو مقياس الأخلاق.

3- هناك مذهب ثالث يرى أصحابه أنّ الضمير البشري هو مصدر الأخلاق، والمقصود بالضمير: القوة الخفية النابعة من نفس الإنسان، فتوضح له طريق الخير وتدفعه إلى سلوكه، وتبين له سبيل الشر وتحذره منه، ويشعر الإنسان براحة في طاعة هذه القوة الخفية، وبتأنيب عند عصيانها[2].

إن المتأمل في أحكام الضمائر يجدها غير ثابتة، بل هي متغيرة مختلفة، بحسب الزمان والمكان، فأحكام الضمير لإنسان القرن العشرين تختلف كثيراً عن أحكام ضمير إنسان عاش في العصور القديمة أو الوسطى، وتختلف كذلك بحسب المكان والبيئة والثقافة، فالضمير في أوربا غيره في أفريقيا، وغيره في البلدان الإسلامية.

---

[1] ينظر: دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، تعريب عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، 1973: ص17.

[2] فلسفة التربية الإسلامية، عمر محمد التومي الشيباني، طرابلس – ليبيا، ط1، 1985: ص258.

4- أما المذهب الرابع فذهبت إلى أنّ مقياس الأخلاق وميزانها يرجع إلى اللذة والمنفعة، مما يحقق اللذة والمنفعة المادية يكون خيراً، وما يحقق ألماً وضرراً مادياً يكون شراً يجب تجنبه والبعد عنه، فالفضيلة تدور مع اللذة والمنفعة وجوداً وعدماً[1].

إن من يتأمل هذا المذهب بواقعية يرى أنّه أشبع جانب الحس والمادة، وأغفل الجانب الروحي والمعنوي في الإنسان، فلا يصلح أن يكون أساساً مطلقاً للأخلاق كما ذهب إليه أصحاب هذا القول.

وبعد عرض ما تقدم من المذاهب لابد من توضيح مصادر الأخلاق في الإسلام التي تجمعت في مصدرين رئيسيين، هما أعظم ما تستمد منه هذه الأخلاق، أولهما القرآن الكريم وثانيهما السنة النبوية.

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للأخلاق الذي تضمن ذكر صفات مهمة وقواعد ومبادئ أساسية، تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان من حيث علاقته بغيره من بني الإنسان سواء أكانوا أفراداً أم جماعات.

كما تبين هذه النصوص ارتباط المنهج الأخلاقي بالعقيدة والعبادة والمعاملات وغيرها.

فقد ورد في القرآن الكريم ألف وخمسمائة وأربع آيات تتصل بالأخلاق، سواء في جانبها النظري أم في جانبها العملي، وهذا المقدار يمثل ما يقرب من ربع عدد آيات القرآن الكريم[2]، ومن ذلك:

---

[1] الأخلاق، أحمد أمين، القاهرة، د. ط، د. ت: ص116.

[2] فلسفة التربية الإسلامية، الشيباني: ص222.

1- قوله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً)[1]. قاعدة شرعية عامة في أقوال الناس، وفي كلام بعضهم مع بعض، لفظاً ومعنىً، أسلوباً ومضموناً، لو اتبعوها لعادت عليهم بركاتها وسلاماً في الدنيا والآخرة، وكلما تأملت هذا اللفظ الكريم من الآية – انكشف لك وجه أو أكثر من لطائفه[2].

2- قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)[3] أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)[4].

3- قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُوْلَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[5] فهذه الآيات تشمل صفات متعددة، تؤسس قواعد ومبادئ تنظم علاقة الإنسان بغيره، لتشكل في مجملها ((المنهج الأخلاقي في القرآن)) إذا جمعت مع مثيلاتها.

4- قوله تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً)[6].

---

[1] سورة البقرة، الآية: 83.

[2] الأخلاق الفاضلة، عبد الله ضيف الله الرحيلي، المدينة المنورة، 1429هـ، ط2، 2008م: ص43.

[3] سورة الأعلى، الآية: 14-15.

[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 503/4.

[5] سورة المؤمنون، الآيات: 1-11.

[6] سورة الفرقان، الآية: 63.

فهذه الآيات تذكر جملة من الصفات والمبادئ الأخلاقية التي تنظم علاقة المسلم بغيره منها: وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده، تلك هي طريقة المشي على الأرض، الطريقة التي تبعد بالإنسان عن الاستكبار في الأرض حينما يمشي مختالاً بمشيته بغير حق، إنها المشي هوناً[1].

وإلى جانب ذلك قاعدة أخرى هي: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) ما أعظم هذه القاعدة، وما أشد أهميتها للسلامة في التعامل مع الآخرين، إن هذا أقصر الطرق وأسلمها لقطع حماقة الحمقى وجهالة الجاهلين.

وبالمقابل مخالفة هاتين القاعدتين من أعظم أسباب عدم السلامة، ذلك لأن من أوسع أبواب الشر، الاستكبار على الناس، ومجاراة الجاهلين ومحاكاتهم ومجادلتهم والتعامل معهم[2].

5- وقوله تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنْ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ)[3].

وهذه صفات المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم لهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة فهم التائبون من الذنوب كلها التاركون للفواحش، وكذلك هم عابدون، أي القائمون بعبادة الله، والمحافظين عليها وهي الأقوال والأفعال ثم خص الحمد من بين هذه العبادات القولية والصيام من بين العبادات الفعلية وهو المراد بالسياحة هاهنا، وكذا الركوع والسجود وهي عبارة عن الصلاة وكذا قال الراكعون

---

[1] تفسير السعدي، للسعدي: 450/3.

[2] الأخلاق الفاضلة، الرحيلي: ص45.

[3] سورة التوبة، الآية: 112.

الساجدون وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ويرشدوهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ولهذا قال (وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ).

لأن الإيمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به[1].

6- قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانَاً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[2].

وهذه صفة المؤمن الحق الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي خاف منه ففعل أوامره وترك زواجره[3].

7- وقوله سبحانه وتعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)[4].

تشتمل هذه الآية على قاعدة في الأخلاق تتعلق بالباعث الفردي والباعث الجماعي في أخلاق الإنسان وسلوكه، وتحدد بوضوح هذا الوعيد الشديد من رب العالمين لمن وقع في وبال النزعة الفردية في الأخلاق، فأصبح لا هم له إلا نفسه، ولا داعي عنده للتفكير في الآخرين، ومن ثم فلا حرج عند هذا الصنف المرذول من الناس أن يسلك هذا المسلك الذي وصمته به الآية[5]. وما ذكر في الآية – من الكيل والميزان

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 393/3.

(2) سورة الأنفال، الآية 2.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 286/2.

(4) سورة المطففين، الآيات: 1-3.

(5) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: 597هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ط، 1402هـ: 56/9؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 343/8؛ تفسير أبي السعود،

– ما هو إلا مثال، وأفعال البشر والانحراف تتعدد، والمنحرفون يخدعون من السلوك والأنماط ما يعبرون به عن نوازعهم الفردية البغيضة[1].

لقد فصّل القرآن الكريم مكارم ومفهوم الأخلاق تفصيلاً كاملاً شاملاً، ولم يغفل عن أي خصلة خلقية قط، أو مبدأ أو قاعدة أخلاقية أمراً بالحسن والجيد منها إسعاداً للفرد والجماعة، وناهياً عن القبيح منها ومبيناً ضررها وعقابها[2].

فقد أورد القرآن الكريم الأخلاق في الجانب المعرفي بـ(763) آية، وأورد في الجانب السلوكي بـ(741) آية، وبذلك تكون جملة الآيات التي رسمت منهج الأخلاق في القرآن الكريم بـ(1504)، وبالتالي فهي تمثل ما يقارب ربع آيات القرآن الكريم[3].

ومثلها آيات البر والعدل والصدق والعفو والجود والعفاف ونحوها[4].

يهدف القرآن الكريم من خلال هذا الكم الهائل من الآيات التي تدعو إلى مكارم الأخلاق والنهي عن مساوئها، إلى إقامة عالم رفيع الخلق، عف المشاعر، نظيف التعامل والسلوك، فقد جاء بنظام كامل يتضمن المبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم كما جاء بالقواعد والأصول التي تضمن بقاءه وصيانته، ولا يقيم القرآن هذا العالم

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود العمادي محمد بن محمد المصطفى (ت 982هـ)، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 125/9.

[1] الأخلاق الفاضلة، الرحيلي: ص48.

[2] النظم الإسلامية، البياتي والنعيمي: ص78.

[3] القيم الإسلامية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، أنور الجندي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط1، د. ت: ص408.

[4] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 1407هـ – 1987م: ص399–401.

على مجموعة من المواعظ والنصائح، ولم يترك الجانب الخلقي لعوامل البيئة ومؤثرات العرف والتقليد، إنما جاء بمنهج خلقي كامل يشمل كل ما يتصل بالحياة والأحياء[1].

وأما السنة النبوية فلها الدور البارز في تأسيس الأخلاق وتنميتها في المجتمع، فهي تأتي بعد القرآن إن لم تعادله في الأهمية، وذلك من حيث التمييز بين الخصائص الحميدة والذميمة في السلوك، والنبي (صلى الله عليه وآله) هو القدوة الحسنة في سلوكه وأخلاقه، وهو (عليه الصلاة والسلام) في تصرفاته القولية والفعلية والوصفية يعد مقياساً دقيقاً فيما هو فاضل أو غير فاضل، وفيما هو محمود ومذموم[2].

قال سبحانه وتعالى: (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ)[3].

وقال سبحانه وتعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)[4].

1- قول الرسول (صلى الله عليه وآله): ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) [5]، من المعروف أن أداة (إنما) في البلاغة العربية تعد أداة حصر، فالرسول (صلى الله عليه وآله) يحصر هدف رسالته في الأخلاق، ثم كلمة (لأتمم) كلمة مهمة أيضاً، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) ذكر في آخر، أنه جاء ليكمل الرسالات السماوية

---

[1] منهج القرآن في التربية، محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، د. ت: ص156.

[2] دراسات في الثقافة الإسلامية، أمير عبد العزيز، مصر، د. ط، د. ت: ص328.

[3] سورة الحشر، الآية: 7.

[4] سورة النساء، الآية: 59.

[5] السنة، أحمد بن حنبل (ت: 241هـ)، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، 381/2؛ وينظر: السنن، البيهقي: 191/10؛ المستدرك الحاكم: 670/2.

السابقة[1]، فقال (صلى الله عليه وآله) ((مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبن، فإنا موضع اللبنة، فختمت الأنبياء)) [2].

وإذا كان هدف رسالته هدفاً أخلاقياً وأنه جاء لإتمام الرسالات السابقة هدف أخلاقي أيضاً، وأن الإسلام جاء ليكمل البناء الأخلاقي الذي بدأ به آدم (عليه السلام) وأكمله محمد (صلى الله عليه وآله) [3].

فالجديد في الإسلام هو ((هذا التتميم، لا إنشاء كل فضيلة من جديد، إذ أن كثيراً من الفضائل كانت معروفة ومسلمة قبل الإسلام، ولكنها كانت متفرقة ومتضاربة وناقصة))[4].

2- قوله (صلى الله عليه وآله): ((إن من أحبكم ألي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وأن بغضكم أليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما

---

[1] الأشباه والنظائر، السيوطي: 224/7؛ وينظر: البيت الإسلامي، مقداد يالجن، مصر، د. ط، 1972: ص124.

[2] المسند، أحمد: 443/2.

[3] البيت الإسلامي، يالجن: ص124.

[4] دستور الأخلاق في القرآن، دراز: ص104.

المتفيهقون، قال: المتكبرون)) [1]، قاعدة للحكم على الناس بأخلاقهم، إن من خيارنا أحسننا أخلاقاً، هكذا بعموم الأخلاق، وبعموم الحُسن وشموله[2].

3- قوله (صلى الله عليه وآله): ((ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذيء)) [3].

4- قوله (صلى الله عليه وآله): ((البر حسن الخلق والآثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس)) [4].

وهذا يدل على أن حسن الخلق هو الدين كله وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، ولهذا قابله بالإثم، (والإثم ما حاك في صدرك)، أي ما أطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في الصدر، وقد فسر حسن الخلق بأنه البر فدل على أن حسن الخلق طمأنينة النفس والقلب والإثم جواز الصدود وما حاك فيها واسترابت به وهذا غير حسن الخلق[5].

5- وقوله (صلى الله عليه وآله): ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)) [6].

---

[1] السنن، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت: 279هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، د. ط، 1935: 370/4. وقال هذا حديث حسن غريب.

[2] الأخلاق الفاضلة، الرحيلي: ص61.

[3] السنن، الترمذي: 362/4. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقاة.

[4] الصحيح، مسلم: 1980/4.

[5] زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مكتبة المنارة الإسلامية، بيروت، الكويت، ط14، 1986م: 306/2.

[6] السنن، الترمذي: 454/2.

جعل النبي (صلى الله عليه وآله) حسن الخلق ميزاناً للتفاضل بين المؤمنين في كمال الإيمان، فالمؤمنون يتفاوتون في كمال الإيمان فبعضهم أفضل من بعض وأكملهم إيماناً وأعلاهم منزلة أحسنهم خلقاً[1].

هذه بعض النصوص التي تؤكد على مكانة الأخلاق في الإسلام، والتي تدل على أن هذه الأخلاق تشكل محوراً أساسياً من هذا الدين الخاتم، فليست الأخلاق أمراً كمالياً يحمل به الإنسان شخصيته بل هي مكون من مكونات الإيمان الذي هو شرط لرضا الخالق سبحانه وتعالى وبالتالي دخول الجنة[2].

[1] النظم الإسلامية، البياتي اولنعيمي: ص7.

[2] الأخلاق العملية في القرآن، العصيمي: ص18.

المبحث الثاني
أقسام الأخلاق في الإسلام

الأخلاق ليست كلها فروعاً، وليست كلها أصولاً، وإنما منها ما هو أصول، ومنها ما هو فروع، وهي تنقسم إلى قسمين: أخلاق فطرية، وأخلاق مكتسبة.

1- الأخلاق الفطرية:

أي فُطر عليها الإنسان، وخلقها الله فيه، وتظهر منهم منذ بداية نشأتهم، وهي قابلة للتنمية والتوجيه والتعديل، لأن وجود الأخلاق الفطرية يدل على وجود الاستعداد الفطري لتنميتها بالتدريب والتعليم وتكرر الخبرات.

كما دل على ذلك حديث الأشج عبد القيس، الذي قال له النبي (صلى الله عليه وآله): ((إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحِلْم والأناة))، قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: ((بل الله جبلك عليهما))، قال: الحمد الله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله)) [1].

ومنها قوله (صلى الله عليه وآله): ((الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)) [2].

ومنها أيضاً ما يدل على أنها فطرية متكونة قوله (صلى الله عليه واله وسلم): ((إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم)) [1].

---

[1] سنن أبي داود، أبو داود بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: صيدا، بيروت، د. ط، د. ت: 957/4.

[2] صحيح مسلم، مسلم: 2031/4.

وهذه خديجة ع حين جاءها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أول نبوءته وهو يقول ((زملوني، زملوني))، قالت: والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر)) [2].

وحين بايع رسول الله (صلى الله عليه وآله) النساء قال: ((بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً إلى أن قال ((ولا تزنين)) قالت إحداهن: هل تزني الحرة؟))[3].

فسؤالها يدل على أنفة وعفة وطهارة، وتلك هي الفطرة السوية التي فطرهنَّ الله عليها تعرف الحق، وتتجه للخير، والفطرة حين تسلم من العوارض المشوشة عليها، والتأثيرات المخدرة لها وتسقط عنها الحوائل، فإنها عندئذ تستقيم لربها وتعرف الحق، وتدعو إلى كل خلق جميل.

2- الأخلاق المكتسبة:

فكما أن هناك أخلاق فطرية، كذلك بإمكان أي إنسان أن يكتسب بعض الفضائل والأخلاق، وذلك بالتربية المقترنة بالإرادة والقيم، والناس في ذلك يتفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل كما أن كل إنسان عاقل يستطيع بما وهبه الله من استعداد عام أن يتعلم نسبة من العلوم، والفنون وأن يكتسب مقداراً ما من أي مهارة عملية من المهارات.

---

(1) المسند، أحمد: 387/1؛ المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1983م، 203/9. صحيح موقوف في حكم المرفوع.

(2) صحيح البخاري، البخاري: 7/1.

(3) المعجم الكبير، الطبراني: 343/24.

وتفاوت الاستعداد والطبائع لا ينافي وجود استعداد عام صالح لاكتساب مقدار من الصفات الخلقية، وفي حدود هذا الاستعداد العام، وردت التكاليف الشرعية الربانية العامة، ثم ترتقي من بعده مسؤوليات الأفراد، بحسب ما وهب الله كلاً منهم من فطر، وبحسب ما وهب كلاً منهم من استعدادات خاصة[1].

فقال تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا)[2].

وقال أيضاً في آية أخرى (لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا)[3].

وعلى ذلك فكل إنسان يمتلك القدرة والقابلية والأهلية لاكتساب الجيد من الأخلاق والتحلي بها، والتخلي عن الرديء منها، والنفس الإنسانية في أصل خلقتها قد ألهمت معاني الفجور ومعاني التقوى، والإنسان نفسه هو الذي يدنيها بتنمية معاني الفجور فيها، أو يزكيها بتنميته معاني التزكية فيها بفعل من عنده وجهد من عنده[4].

قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[5].

فلو لم يكن ذلك في مقدور الإنسان لما يريد القرآن الكريم، لأن الله تعالى لا يأمر بالمستحيل، وعلى ذلك فهناك وسائل كثيرة لتقويم الأخلاق واكتساب الكريم منها والتخلي عن الرديء، ومن أهم هذه الوسائل ما يأتي:

---

(1) الأخلاق بين الفطرة والاكتساب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موقع الشبكة العنكبوتية (Islam web. Net.) في (2002/7/9).

(2) سورة البقرة، الآية: 286.

(3) سورة البقرة، الآية: 233.

(4) النظم الإسلامية، البياتي: ص106.

(5) سورة الشمس، الآيات: 7-10.

1- العلم: إن العلم وسيلة إيجابية لنشر الوعي في المجتمع، ويقصد به هنا معرفة الأخلاق الكريمة التي أمر بها الإسلام وأنواع الأخلاق الرذيلة التي نهى عنها حيثما كانت، ومن هنا فإن وجود هذا العلم ضروري في المجتمع ((لأنه بدونه لا يدري المسلم بأي خلق يتخلق، ومن أي خلق يتجرد، وقد كفى الإسلام المسلم قوة البحث والاستنباط، فقد فصَّل الأخلاق بنوعيها وما على المسلم إلا أن يعرض نفسه على الأخلاق بنوعيها ليعرف موضعه منها، ثم يعمل جاهداً لتكون أخلاقه إسلامية حقاً[1].

ومن هنا ندرك أن المجتمع الذي يُحرم من وسيلة العلم مجتمع لا يستطيع أن يميز طيب الفعال من خبيثها، ومن ثم تكون النتيجة هلاك هذا المجتمع ودماره[2].

2- القدوة الحسنة: لا شك أن خير مثل أعلى في حسن الخلق هو رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[3].

وأرشدنا إلى أتخاذه قدوة بقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)[4].

وقوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[5].

---

[1] أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ط2، 1973: ص90.

[2] أسس النظام الاجتماعي، عبد الحميد عيد عوض، الكويت، ط1، 2014: ص48.

[3] سورة القلم، الآية: 4.

[4] سورة الأحزاب، الآية: 21.

[5] سورة آل عمران، الآية: 31.

وقد فسر ابن كثير هذه الآية الكريمة بأنها حاكمة على كل من أدعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في الأمر نفسه حتى يتبع الرسول (صلى الله عليه وآله) في جميع أقواله وأفعاله[1].

إن السيرة النبوية يستطيع المسلم التأسي بها وممارستها وتطبيقها في واقعة سواء كان صغيراً أو كبيراً، لأن أحداثها ليست فوق مستوى البشر بل هي سيرة واقعية يستطيع الكل تطبيقها والسير على منوالها لأنها واضحة كل الوضوح ولا يوجد بها أي تناقض يحول دون تطبيقها والعمل بها.

((والقدوة الحسنة من أبلغ الوسائل لترقية المجتمعات المسلمة وصعودها في سلم الكمال الخلقي حيث يسري أثرها الحسن على المجتمع قوة، أما القدوة السيئة فإنها تشجع على الرذيلة وتصل بالمجتمعات إلى حد الدمار حيث يسري أثرها السيء على المجتمع وهناً وضعفاً)) [2].

3- هجر البيئة الفاسدة: وقوام ذلك العيش في جو إيماني تسوده الأخلاق الإسلامية وتكثر فيه[3]، وذلك بمخالطة المؤمنين ذوي الأخلاق الحسنة، ومجالستهم، أن الإنسان يكتسب من البيئة التي يعيش فيها في الغالب، ما لديها من أخلاق وعادات، ولذلك كان توجيه النبي (صلى الله عليه وآله) [4].

---

[1] تفسير القرآن العظيم: ص29.

[2] أسس النظام الاجتماعي، عوض: ص49.

[3] النظم الإسلامية، البياتي: ص116.

[4] أسس النظام الاجتماعي، عوض: ص49.

((لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي)) [1].

وقد جاء في السنة المطهرة أيضاً ما يفيد هجر البيئة الفاسدة والفرار منها، إلى البيئات الصالحة، لأن ذلك أدعى إلى الاستقامة والبعد عن الانحراف الأخلاقي، مع تقرير المبدأ الأخلاقي القاضي بأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير وأجدى[2].

4- التدريب العملي والرياضة النفسية: ((وذلك بممارسة العادات والطاعات الواجبة منها والمندوبة، لأن هذه العبادات والطاعات تشعر الإنسان بحلاوة الإيمان وبروعة الصلة بالله تعالى وتنشئ حباً عميقاً من العبد بربه تبارك وتعالى يحرص العبد على دوامه فيندفع لتنميته بمحاسن الأخلاق ابتغاء رضوان الله)) [3].

وأن الممارسة التطبيقية ولو مع التكلف في أول الأمر، وتعبير النفس على غير ما تهوى من الأمور التي تكسب النفس الإنسانية الخلق الطيب طال الزمن أو قصر، وهذا المسلك يحتاج إلى تكرار ودوام حتى ينتج أثره، وهذا الدوام يستلزم الصبر، وهو ضروري في هذه الحالة ضرورته للمريض الذي يتناول الدواء المر، فإذا صبر وداوم انقادت النفس، وألفت الفعل حتى يصبح الفعل لها سجية[4]، وقد ثبت في الصحيح أن

---

[1] السنن، أبو داود: 259/4؛ صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت: 354هـ)، ترتيب علي بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، 1988م: 314/2. جامع الترمذي، 2395، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

[2] أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان: ص94.

[3] النظم الإسلامية، البياتي: ص112.

[4] منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف، القاهرة، د. ط، د. ت: ص206.

الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: ((ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغنِ يغنّه الله، ومن يتصبر يصبره الله)) [1].

5- ممارسة التوبة: يقر الإسلام بنظرية الاعتراف، ولكن هذا الاعتراف يكون بين الإنسان وربه، فالإنسان في حال اقترافه ذنباً وعوره بفداحة خطيئته وتأنيب ضميره يستطيع أن ينفس عن مشاعره بالالتجاء إلى ربه بالصلاة التي تكفر الخطايا، والاعتراف بذنبه وطلب المغفرة من الله.

وقد صور لنا القرآن الكريم بعض هذه الاعترافات حتى يأخذ بها المؤمنون لتكون لهم شفاء من الشعور بالخطيئة وحافزاً لهم بتغيير مجرى حياتهم نحو الأفضل، فهذا آدم وحواء يقولان (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِن الخَاسِرِينَ)[2].

ويدعو الله المؤمنين إلى طلب الغفران منه على ما اقترفوا من ذنوب، مبيناً لهم أن الله غفور رحيم، قال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللَّهَ يَجِدْ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً)[3].

فطلب الإنسان الغفران من الله على ذنوب أقترفها هو اعتراف صريح بالذنب أمامه، وإذا تيقن المذنب بأن الله سيغفر له، وأنه غفور رحيم، فلا ريب أن ذلك سينتزع منه الشعور بالإثم ويدخل إلى قلبه الطمأنينة التي هي المدخل إلى الصحة النفسية[4].

---

[1] صحيح البخاري، البخاري: 112/2.

[2] سورة الأعراف، الآية: 43.

[3] سورة النساء، الآية: 11.

[4] روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، د. ط، 1980: ص25.

فالتوبة أسلوب من أساليب التكفير، كما أنها أسلوب من أساليب تطهير النفس من الآثام والذنوب، والتوبة هي المدخل إلى المغفرة، فهي التي تسمح بإيجاد مصرف للمشاعر الثائرة التي أوجدها الفعل الذي يتنافى مع القيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية، والندم الذي تولده التوبة له أثر عظيم في تغيير سلوك الإنسان من سيء إلى حسن، ولك أنه يظهر خطورة الخطيئة لدى فاعلها، ويعرض ما يترتب عليها من مغبات وآثام[1].

قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[2].

وقوله (صلى الله عليه وآله): ((إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)) [3].

---

[1] روح الدين الإسلامي، طبارة: ص25.

[2] سورة النور، الآية: 31.

[3] صحيح مسلم، مسلم: 2113/4.

المبحث الثالث

أهمية الأخلاق وأثرها على الفرد والمجتمع

تعد الأخلاق أبرز مقومات التربية، بل هي مظهر التربية، وثمرتها المباشرة، وبقدر ما تكون أخلاق الإنسان حسنة فإنها تدل على التربية الرفيعة التي حصل عليها، أما إذا كانت أخلاقه سيئة فإنها تدل على فشل تربيته، أو أنه لم ينل منها ما يجعله جديراً بالاحترام[1].

ولهذا لم يعد الإسلام الخلق سلوكاً مجرداً، بل عده عبادة يؤجر عليها الإنسان، ومجالاً للتنافس بين العباد، فقد جعله النبي (صلى الله عليه وآله) أساس الخيرية والتفاضل يوم القيامة، فقال (صلى الله عليه واله وسلم) ((إن أحبكم ألي وأقربكم مني في الآخرة مجلساً أحاسنكم أخلاقاً، وأن أبغضكم ألي وأبعدكم مني في الآخرة أسوءكم أخلاقاً: الثرثارون المتفيهقون المتشدقون)) [2].

وكذلك جعل أجر حسن الخلق ثقيلاً في الميزان، بل لا شيء أثقل منه، فقال (صلى الله عليه وآله) : ((ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق)) [3].

وجعل كذلك أجر حسن الخلق كأجر العبادات الأساسية، من صيام وقيام، فقال (صلى الله عليه وآله): ((إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم)) [4].

---

[1] الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادئ، حسان محمد حسان، تونس، د. ط، 1987م: ص1052.

[2] المسند، أحمد: 193/4؛ السنن، ابن حبان: 368/12؛ المعجم الكبير، الطبراني: 221/22.

[3] السنن، الترمذي: 363/4.

[4] السنن، الترمذي: 363/4؛ السنن، ابن حبان: 224/2.

إن الأخلاق ضرورية للفرد والمجتمع معاً فكما أن الفرد لا تتم إنسانيته إلا بالأخلاق فكذلك المجتمع في أي مستوى من المستويات لا تصلح حاله ولا يستقيم أمره إلا بالأخلاق ولا يصبح للحياة فيه أي معنى إلا بالأخلاق الفاضلة[1].

وقد بلغت الأخلاق الاجتماعية في الإسلام مبلغاً من الرقي العظيم جعلها في مركز القمة بما اشتملت عليه من تفصيلات موثقة للروابط الاجتماعية بين الأفراد، ومؤثرة تأثيراً عميقاً في تغذية وحدة الجماعة الإسلامية وتنمية روابط المودة والإخاء بين المسلمين[2].

والأخلاق في الإسلام ليست تعبيراً خيالياً وإنما هي منهج واقعي يستمد قيمه من صميم واقع الإنسان، بحسبانه أحد أفراد المجتمع وهي تظهر في مستويين فردي واجتماعي وهي تؤكد حرية الإنسان وإرادته في الاختيار وتحمل المسؤولية، فالفرد مسؤول عن عمله واعٍ لشخصيته محقق للنفع العام لمجتمعه بأسره[3].

لهذا كان لابد من لمحة تبين أهمية الأخلاق وحاجتنا إليها:

1- نهضة الأمم:

فالأخلاق هي المؤشر على استمرار أمة أو انهيارها، فالأمة التي تنهار أخلاقها يوشك أن ينهار كيانها، كما قال الشاعر المصري أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولت مضوا في أثرها قدماً[4]

---

[1] فلسفة التربية الإسلامية، التومي الشيباني: ص226.

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة، دار القلم، دمشق، د. ط، 1987م: 57/1.

[3] القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، أنور الجندي، مطبعة الرسالة، القاهرة: ص408.

[4] ديوان أحمد شوقي، القاهرة، د. ط، د. ت، 217/1.

وقال أيضاً:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهمفأقم عليهم مأتماً وعويلاً[1]

ويدل على هذه القضية قوله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً)[2].

قال ابن كثير: ((أمرهم بالطاعات ففعلوا الفواحش، فاستحقوا العقوبة))[3].

ولذلك ذكر بعدها صوراً للأمم التي فسدت أخلاقها لما فسدت عقائدها ولابد – فأهلكوا وأبيدوا، فغدوا أثراً بعد حين، قال تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً)[4].

وقد عد وقرر بعض المؤرخين مثل (جيبون وابن خلدون وغيرهما)، أنّ أبرز سقوط الأمم والحضارات انهيار الأخلاق، وذلك أن الأخلاقيات الهدامة كثيرة منها الظلم ونقض العهود والتناحر من أجل السلطة والعدوانية والتخريب، أما إذا انتشرت الروح الأخلاقية كالتضحية في خدمة الأمة، وروح الإخاء والتعاون وتحقيق المساواة والعدالة الشاملة وتنفيذ العهود سوف تؤدي إلى التقدم، ونجد أفراداً يخترعون ويبدعون ويتفاخرون بتقدم أمتهم، ثم أن التقدم يكون نتيجة سيادة الأمن والاستقرار في المجتمع، ولا يتحقق هذا وأمثاله إلا بانتشار الأخلاق والروح الخيرة والتعاون المستمر والقيام بالواجبات والأعمال والصناعات كما ينبغي ويجب.

---

[1] ديوان أحمد شوقي: 183/1.

[2] سورة الإسراء، الآية: 16.

[3] تفسير القرآن العظيم: 35/3.

[4] سورة الإسراء، الآية: 17.

وهذا وزير التعليم الياباني يُسأَل عن سر تقدم اليابان؟

فيقول: السر يرجع إلى تربيتنا الأخلاقية وهي وسيلة للنهوض بالأمة على ذلك النحو[1].

فالتربية الأخلاقية تقضي على الجرائم والانحرافات بجميع أشكالها وألوانها، لأن وظيفة التربية الأخلاقية بناء جيل ملتزم بالخير متجنب للشرور والجرائم الناشئة عن الشرور والروح الإجرامية.

وإنها خير وسيلة لبناء الفرد الخيّر والمجتمع الخير والدولة الخيرة والحضارة الإنسانية الخيرة، ذلك أن وظيفة الأخلاق إزالة الشرور من النفوس وتكوين الروح الخيرة فيها[2].

وهي تعمل على تحقيق المجتمع المتعاون على البر والتقوى وتجعل المسؤولية بين الفرد والمجتمع تعاونية وتضامنية ومتوازنة تحفظ للجماعة مصلحتها وقوة تماسكها، وللفرد حريته، فليس المجتمع إلا مجموعة من الأفراد، وبذلك تصان سفينة الحياة من الغرق والدمار[3].

2- الأخلاق الحسنة امتثال لأمر الله ورسوله:

---

[1] علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن: ص9-10.

[2] علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن: ص108.

[3] طرق تعليم التربية الإسلامية، محمد عبد القادر أحمد، مصر، د. ط، 1983: ص18.

تضافرت النصوص من كتاب الله عز وجل على الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة، ونهت على الكثير منها، فمن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ)[1].

وقوله تعالى: (خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ)[2].

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[3].

ولما كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يمتثل أمر الله تعالى في كل شأنه قولاً وعملاً، ويأتمر بكل خلق حسن ورد الأمر بها في القرآن، وينتهي عن كل أخلاق سيئة ورد النهي عنها في القرآن الكريم، لذا كان خلقه القرآن[4]، وأيضاً فإن الالتزام بالأخلاق الحسنة امتثال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو الذي يأمر بها ويحض عليها فعن أبي ذر رض، قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): ((أتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)) [5].

3- السعادة المنشودة:

التربية الأخلاقية ضرورية وسيلة لتحقيق السعادة في الحياة الاجتماعية، فالشقاء والتعاسة الاجتماعية ناشئة عن الشرور وهيمنة الانحراف الاجتماعي، والتربية على

---

[1] سورة النحل، الآية: 90.

[2] سورة الأعراف، الآية: 199.

[3] سورة الحجرات، الآية: 6.

[4] موسوعة الأخلاق، الشبكة العنكبوتية: 2016/5/2.

[5] المسند، أحمد: 153/5.

الخلق الفاضل تسهم كثيراً في استقرار المجتمعات وسيادة الخير وانحسار الشر أو زواله[1].

فمن الواضح في هذا العنصر أن أسس الأخلاق الإسلامية لم تهمل ابتغاء سعادة الفرد الذي يمارس فضائل الأخلاق ويجتنب رذائلها، ولم تهمل ابتغاء سعادة الجماعة التي تتعامل فيما بينها بفضائل الأخلاق مبتعدة عن رذائلها[2].

وما من أمة أو دولة أو شعب حاد عن مبادئ الأخلاق الفاضلة وانحرف نحو الترف والإسراف والفساد والانحلال الخلقي أو إلى القهر والتجبر والظلم إلا دمره الله بترفه وإسرافه وفساده وظلمه وتجبره.

فخطر الانحطاط الخلقي على الأمة والمجتمع أعظم بكثير من خطر العدو المحسوس الملموس[3].

4- إن الخلق أفضل الجمالين:

الجمال جمالان: جمال حسي، يتمثل في الشكل والهيئة والزينة والمركب والجاه والمنصب، وجمال معنوي يتمثل في النفس والسلوك والذكاء والفطنة والعلم والأدب[4].

وقد ذكر الله سبحانه أن للإنسان عورتين، عورة الجسم وعورة النفس، ولكل منهما ستر، فستر الأولى بالملابس وستر الثانية بالخُلق، وقد أمر الله بالسترين، ونبه أن الستر

---

[1] علم الأخلاق الإسلامية، يالجن: ص109.

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها، حنبكة: 82/1.

[3] فلسفة التربية الإسلامية، التومي: ص226.

[4] معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة، الحميدان وهوساوي: ص16.

المعنوي أهم من الحسي، فقال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)[1].

فالإنسان لا يقاس بطوله وعرضه، أو لونه وجماله، أو فقره وغناه، وإنما بأخلاقه وأعماله المعبرة عن هذه الأخلاق.

يقول سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[2].

ويقول (صلى الله عليه وآله): ((إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) [3].

5- ارتباط الأخلاق بالعقيدة:

الأخلاق ثمرة لكل من العقيدة والعبادة، فالعقيدة السليمة الراسخة تثمر الأخلاق الحميدة، كما أن الأخلاق الفاضلة تدل على كمال الإحسان

فكلما كان الإيمان صحيحاً وقوياً أثمر أخلاقاً حميدة، وفي هذا يقول (صلى الله عليه واله وسلم): ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً)) [4].

وكذلك العبادة التي يقوم بها المسلم تجعل أخلاقه حميدة، وتثمر الأخلاق الحسنة ولابد إذا ما أقامها على الوجه الأكمل، لذا قال تعالى: (وَأَقِمْ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)[1].

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 26.

[2] سورة الحجرات، الآية: 13.

[3] صحيح مسلم، مسلم: 11/8.

[4] المسند، أحمد: 50/2؛ السنن، ابن حبان: 227/2.

وهناك آيات وأحاديث كثيرة ربطت بين الإيمان وحسن الخلق[2].

لأن الإيمان هو الذي يحدد السلوك الأخلاقي، فالإيمان قوة دافعة للإنسان لسلوك الخلق السليم وفق شرع الله فيكون هناك توازن داخلي لدى النفس الإنسانية بين الذات والإيمان[3].

وبهذا أخبر النبي (صلى الله عليه وآله): ((إذا ساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن)) [4].

كما أكد كثير من علماء التربية والاجتماع في الغرب على هذه الصلة الوثيقة بين الإيمان والأخلاق فقال الفيلسوف الألماني (فيختة) ((الأخلاق من غير دين عبث)) [5].

وقال الزعيم الهندي (غاندي): ((إن الدين ومكارم الأخلاق شيء واحد لا يقبل الانفصال ولا يفترق بعضها عن بعض فهما وحدة لا تتجزأ)) [6].

وقال الفيلسوف (كانت): ((لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة: وجود الإله وخلود الروح والحساب بعد الموت)) [7].

---

[1] سورة العنكبوت، الآية: 45.

[2] فلسفة التربية في القرآن الكريم، عمر أحمد عمر، دار المكتبي، دمشق، ط1، 2000: ص303.

[3] التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسؤولة الاجتماعية، ميسون، محمد عبد القادر، بحث تكميلي، كلية التربية، غزة، د. ط، 2009: ص46.

[4] المسند، أحمد: 251/5. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات.

[5] التفكير الأخلاقي، ميسون: ص30.

[6] التفكير الأخلاقي، ميسون: ص30.

[7] التفكير الأخلاقي، ميسون: ص30.

ويقول عالم النفس (مور): إنّ علة النفس في الحياة المعاصرة تكمن في الفجوة بين الدين والسلوك وأن المحاولات النفسية ذات الأصول الدينية سوف تنقذ البشرية)) [1].

[1] العلاج الإيماني في الطب النفسي، سامي أحمد الموصلي، دار النفائس، بيروت، ط1، 2001: ص16.

المبحث الرابع
خصائص الأخلاق الإسلامية

تمتاز الأخلاق الإسلامية بمنظومة من الخصائص العظيمة الجميلة التي تعكس روح الإسلام وجماله وجاذبيته، التي ينفرد بها دون سائر المناهج والأنظمة والقوانين، ذلك؛ لأن هذه الأخلاق ليست غريبة على الإنسان، فكثير منها توصل لها عقله، وقادته لها فطرته السليمة، وسوف أتناول بعض هذه الخصائص، وأقف معها بشيء من البيان والإيضاح، وليس الغرض الحصر لهذه القيم، إذا لا يسر في مثل هذا المقام، وإنما الغرض هو بيان أهمية هذه الخصائص الرفيعة التي تسمو بالإنسان إلى المعالي.. وهذه الخصائص التي سألقي الضوء عليها هي:

1- الربانية:

لأنّ الله سبحانه وتعالى رب العالمين، هو الذي أمر بها ورسم طريقها وخط تفاصيلها وحث عليها ورغب فيها، وهو واضعها ومشرعها بنوعيها الفطري والمكتسبة.

أما الفطرية ففي قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[1].

وأما المكتسبة ففي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[2].

ونحوها من عشرات الآيات التي تناولت هذه التي سيرد ذكرها فيما بعد.

---

[1] سورة الروم، الآية: 30.

[2] سورة التوبة، الآية: 119.

فقد أرسل الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) لتأكيد الأخلاق، وتصحيح ما غبش معناه منها وترجمتها إلى مثال حي في كل عصر، وأثنى عليه بالخلق العظيم فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[1] وكانت تزكية النفوس محوراً من محاور دعوته عليه (الصلاة والسلام).

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ)[2].

جاء في تفسير هذه الآية: ((وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين سيدنا إبراهيم الخليل فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم فاصل لجميع الشبهات، والشكوك والريب في الأصول والفروع، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين))[3].

---

[1] سورة القلم، الآية: 4.

[2] سورة الجمعة، الآية: 2.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 364/4.

وإن تهذيب النفوس وصلاحها مما بعث الله به نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) فقال: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق وفي لفظ "مكارم الأخلاق")[1].

وهذه الخصيصة تعطي المتمسك بالأخلاق الإسلامية شعوراً بالاطمئنان حين يتلقى هذه الأخلاق من ربه وخالقه وهاديه، لا من رئيسه أو اميره أو زميله، وفرق بين من يتلقى أوامر من مخلوق مثله – مهما فاقه في العلم والخبرة – ومن يتلقى أوامر من رب ومعبود، فإن من يتلقى من المخلوق ينتابه في أثناء تنفيذه مشاعر وعوارض منها[2]:

– أن المخلوق مثله لا يتميز عنه بشيء، فتتحرك في نفس المأمور رغبة المنافسة ليكون مثله في العلم أو الرئاسة، وهذا يضعف دافع التلقي.

– أن المخلوق ناقص مهما بلغ من الكمال، فأوامره ليست معصومة من الخطأ، وفي الوقت نفسه فإن هذا الأمر ليس ملتزماً كمال الالتزام بما يأمر به لتلبسه النقص.

– أن المخلوق ربما أمره لتحقيق لنفسه، لا مصلحة للمأمور.

– أن المخلوق لا يملك السلطة المطلقة للأمر، فسلطته محدودة، وطبيعة الإنسان تأبى أن تتلقى من جهة لا سلطة لديها.

لكل ذلك تظهر ميزة الأخلاق الربانية المنزهة عن كل ما سبق من عوارض، فيطبقها المسلم وهو راضٍ تمام الرضى بها.

إن ربانية هذه الأخلاق تعطيها ثقة وقبولاً وثباتاً، وتجعلها في موضع الرضا والتسليم، لخلوها من التناقض والاختلاف والغموض، لأنها متلقاة من رب هو الحق

---

[1] المسند، احمد: 381/2.

[2] معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة، الحميدان وهوساوي: ص25.

ومصدر الحق ومآب الحق، فلا يشك المسلم في حجة هذه الأخلاق، ولا يتنازل عنها لأنها لا تحتمل الخطأ بأي حال، لذا تجد المسلم يصر على التمسك بالأخلاق ولو جوبه أو عورض أو هدد[1].

إن خاصية الربانية في الأخلاق الإسلامية كالرأس في الجسد والروح للحياة، لا قيام للأخلاق بدونها، فكل ما يأتي بعد ذلك من الخصائص تبع لهذه الخاصية سائر تحت لوائها.

فقد بيّن الرسول (صلى الله عليه وآله) مقام الأخلاق عند الله تعالى فقال:

((أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)) [2].

نعم هذه هي الربانية التي ربطت حياة الدنيا والآخرة، في وحدة كاملة، ومسيرة متواصلة، أي هي التي أسبغت على مادية الدنيا روحانية الآخرة، حتى يتكون الضمير الحي الذي ينقذ الحضارة من النفوس الأمارة بالسوء، كي لا يتحول الإنسان المكرم إلى مجتمع الحيوان، غير العاقل وغير المسؤول وغير المكلف[3].

وهو بذلك يبعث سبحانه وتعالى الطمأنينة في نفوس المؤمنين بأن هذه الأخلاق التي يدعوهم لتمثلها هي إرادة الله العالم بكل ما يصلح لهم، وهذا الأمر يعطي دافعاً معنوياً

---

[1] أصول الدعوة، زيدان: ص159؛ وينظر: معالم الشخصية الإسلامية، الحميدان والهوساوي: ص25.

[2] سنن أبي داوود، أبو داوود: 253/4.

[3] مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، محسن عبد الحميد، شركة الرشد، بغداد، ط2، 2001: ص54-55.

قوياً للمسلم يجعله يتمسك بأخلاق هذا الدين لأنه على يقين أن هذه الأخلاق ستجلب له الخير وتبعد عنه الشر[1].

2- الشمول:

من خواص الأخلاق الإسلامية هو الشمول الذي يجعل منه منهجاً كاملاً يشمل جميع مظاهر النشاط الحيوي للفرد والمجتمع وجميع علاقات الإنسان وجوانب حياته كافة وجميع جوانب ارتباطاته بالحياة والأحياء[2].

فمجال الأخلاق في الإسلام، كما يقول مقداد يالجن: ((هو هذا الكون كله، هو علاقة الإنسان بالكائنات الحية في هذا الكون، وهذه العلاقة المرسومة من قبل الإسلام في ضوء فلسفة عقيدته هي بشمولها هذا ميدان الأخلاق الإسلامية، ومن ثم يدخل في نطاق الأخلاق الإسلامية علاقة الإنسان بالله، وتسمى العبادات وعلاقة الإنسان بالإنسان، وهي الشريعة، وبالكائنات الروحية، وبالحيوانات والموجودات، ويدخل هذا في قسم الآداب العامة، لأن الإسلام يأمر بالآداب مع الله، ومع الناس، ومع الحيوانات، ومع الملائكة)) [3].

لهذا ندرك شمول خلق الإنسان وهو يخاطب بدعوته الجن والإنس، والعرب والعجم والأبيض والأسود على حد سواء.

---

[1] الأخلاق العملية في القرآن، العصيمي: ص26.

[2] فلسفة التربية الإسلامية، التومي الشيباني: ص73.

[3] البيت الإسلامي: ص123.

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)[1]، ويقول سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[2].

فإذا كانت دعوته عامة شاملة فكذلك قيمه الأخلاقية ومبادئه توافق هذا الشمول ولا تختزله في بعض جوانبه أو تمارسه على بعض الفئات من اتباعه دون بعض.

قال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً)[3].

توضح هذه الآية الكريمة الخطاب الشامل إلى الأخلاق، قال عنها ابن كثير:

((يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله) أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الأفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإنه عدو آدم وذريته من حيث امتنع من السجود لآدم وعداوته ظاهرة بينة)) [4].

إنها دعوة عامة للقول الطيب والعفة في المنطق بجميع أنواعه في كل حال ومع كل أحد..

---

[1] سورة الذاريات، الآية: 56.

[2] سورة الحجرات، الآية: 13.

[3] سورة الإسراء، الآية: 53.

[4] تفسير القرآن العظيم: 46/3.

هذا من ناحية شمولية الأخلاق في الإسلام، مما لا نجد له نظيراً في أي قانون وضعي بشري، التي انطلقت مبادئها وتشريعاتها من فلسفة النظام والأيدولوجية التي تنبثق منها:

ففي النظام الرأسمالي الاقتصادي نجد المبادئ منصبة على هذا الجانب من حياة الإنسان تنظمه، مهملة الجوانب الآخرى، وعلى رأسها الروحية والاجتماعية والأخلاقية.

وفي النظم البرهانية نجد الكلام منصباً على الجانب الروحي في الإنسان دون أن تحتوي فلسفته على قوانين تحكم الجوانب المادية والمجتمعية والحياتية، وتجتمع كل الأنظمة البشرية في شيء مشترك، وهو محدوديتها واقتصارها على جوانب دون أخرى[1].

لذلك نجد الأنظمة البشرية يستعير بعضها من بعض ما يكمل فيه النقص عنده، فتصير كالمقرقعة التي يراد للبشرية أن تستظل بظلها.

عكس شمولية الإسلام التي تظهر في مجالات متعددة كما أوضحنا سابقاً التي تشمل جميع أعمال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره، سواء كان فرداً أو جماعة أو دولة، ونظم الحياة المختلفة ولكل زمان ومكان[2].

وهذا الأمر يبعث الطمأنينة في نفس المسلم ويدفعه إلى أعلى درجات السلم الأخلاقي.

---

[1] الشريعة الإسلامية وفقه الموازنات، عبد الله الكمالي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م: ص39.

[2] خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسين، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1403هـ - 1983م: ص231.

3- الوسطية والاعتدال والتوازن:

الوسط في كل شيء أعدله، ومنه قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً)[1]، أي عدلاً، وواسطة القلادة الجوهر الذي في وسطها، وهو أجودها[2].

يقول الطبري: ((إنما وصفهم الله تعالى ذكره – بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو... ولا هم أهل تقصير..، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)) [3].

فالوسطية تعني إذن الحد الوسط الذي لا ينحرف إلى جانب، وهو الحد المقبول الذي لا يميل ليحدث خروجاً على فطرة الشيء، لأن الله تعالى خلق كل شيء على طبيعة محددة، فتغييره يعني إخراجه من الفطرة، ومع الخروج يحدث خراب الحياة والمجتمع[4].

فانطلاقاً من ربانية هذه الشريعة في مصدرها ووجهتها فقد جاءت أحكامها متوازنة في جميع الشؤون والجوانب[5].

فهي تقدر الطبيعة الإنسانية المكونة من جسم وروح، وتأخذ في الاعتبار مطالب الجسم والروح، ومطالب الدنيا والآخرة، أو بعبارة أخرى أن الأخلاق الإسلامية لا تضحي بالجسم في سبيل الروح ولا بالقيم المادية في سبيل القيم الروحية، بل تعطي كل جانب

---

[1] سورة البقرة، الآية: 143.

[2] العين، الفراهيدي: 279/7.

[3] جامع البيان في تفسير آي القرآن، محمد بن جرير (310هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ – 1992: 7/2.

[4] مذهبية الحضارة الإسلامية، عبد الحميد: ص94.

[5] فلسفة التربية الإسلامية، التومي الشيباني: ص233.

حقه من الرعاية، وتضعه في المكان الذي يجب أن يوضع فيه بلا إفراط ولا تفريط، فالإسلام بتعاليمه وقيمه وأخلاقه يعالج الإنسان معالجة كلية تكاملية، فيهتم بجسمه وعقله كما يهتم بروحه، ويوفق بين مطالبه المادية ومطالبه المعنوية ويهتم بمصالحه الدنيوية كما يهتم بمصالحه الآخروية.

ويذهب محمد عمارة في فهم الوسطية في المفهوم الإسلامي الأمة الوسط الذي هو عدل بين ظلمين، وحق بين باطلين، واعتدال بين متطرفين، ليس بالمعنى الأوسطي الذي يجعل الفضيلة وسطاً يتوسط رذيلتين، متصوراً وجود مسافة عن يمين الفضيلة وعن يسارها متساوية تفصل بينهما، وإنما بمعنى اشتمال الموقف الوسط على محاسن القطبين النقيضين التي يمكن جمعها والتأليف بينها، فالعقلانية الإسلامية موقف وسط ليس بمعنى التوسط بين العقل وبين النقل... وليس بمعنى التوسط بين المادة والروح، وإنما بمعنى الجمع بين محاسنها والضروري منهما لخلق الإنسان السوي، والشخصية الإسلامية شخصية وسط، لا بمعنى انعدام انتمائها، وإنما بمعنى جمعها بين فضائل الجسد والروح وفضائل الدنيا والآخرة وفضائل الدين والدنيا وفضائل الفردية والجماعية[1].

فالقرآن الكريم يقول: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾[2].

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

---

[1] الاستقلال الحضاري، الوحدة للطباعة، بيروت، ط1، 1986: ص204.

[2] سورة القصص، الآية: 77.

ويقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[2].

وتؤكد السنة النبوية هذا التوازن والاعتدال في أكثر من حديث فمن ذلك قوله (صلى الله عليه وآله): ((.. والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)) [3].

وقوله (صلى الله عليه وآله): ((..ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه...)) [4].

والإسلام بهذا التوازن والاعتدال والتكامل بين مطالب الجسم ومطالب الروح، وبين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة سلم من الازدواج والتنافر بين هذين النوعين من المطالب اللذين نلحظهما في بعض الأديان والمذاهب والنزعات الفلسفية كاليهودية والمذاهب المادية الوضعية التي اتجهت اتجاهاً مادياً، وكالمسيحية والمذاهب الروحية والنزعات الصوفية التي اتجهت اتجاهاً روحياً لدرجة التطرف لدى بعضها[5].

وخير وصف وصفت بدلالة المؤمنة الربانية هو أنها أمة ((وسط)) لا تسرف في أمرها، ولا تشح أو تبخل أو تمنع حيث يجب الإعطاء أو يحسن البذل.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 172.

[2] سورة المائدة، الآية: 87.

[3] صحيح مسلم، مسلم: 781/2.

[4] صحيح البخاري، البخاري: 2/7.

[5] فلسفة التربية الإسلامية، التومي: ص234.

والقرآن الكريم يقول: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)[1].

إذاً فالوسطية في الإسلام هي التي تجمع طرفي المعادلة بدون إفراط ولا تفريط وبذلك يكون الإسلام هو التشريع الإلهي الذي غطى كل متطلبات الملكات النفسية، ولم يشرع لملكة واحدة على حساب ملكات أخرى، وبذلك يكون الإنسان سوى التركيب منسق الطاقات غير متدافع الميول[2].

وإن توازن الشريعة الإسلامية لا يلغي ترتيبها للأولويات في حياة البشرية، فهناك الواجب والأوجب، وهناك المهم والأهم، وغيره مما يدخل ضمن القواعد الفقهية كدرء أعلى الضررين وجلب أعظم المنفعتين، مما يقره العقل والفطرة السليمة[3]. ولذلك كان الإسلام منهجاً متكاملاً، ختمت به رسالات الله إلى الأرض.

4- الثبات والمرونة:

لمبدأ الثبات في شريعة الله أهمية عظمى، فهو الذي يحفظ للمجتمع المسلم تميزه واستقلاله، وهو الذي يحفظه من الذوبان والفناء في المجتمعات الأخرى، كما أنه يحمي المجتمع من الانجرار وراء أمراض الهوى وشهوات القوى المسيطرة، بل هو الذي يحفظ للشريعة توازنها وعدالتها من أن تعبث بها أهواء القوى المختلفة وتشوهها بلعبة الديمقراطية وغيره.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 143.

[2] المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية وتشريعها اليوم، محمد عبدة يماني، مجلة جوهر الإسلام، السنة الخامسة، العدد (9-10) يونيو، 1973: ص107؛ وينظر: فلسفة التربية الإسلامية، التومي الشيباني: ص236.

[3] الشريعة الإسلامية وفقه الموازنات، الكمالي: ص39.

ما أن الثبات يمنح الأفراد الطمأنينة والثقة من التقلبات، وتمنح أسس العدالة الوضوح لكل أفراد المجتمع، والاستقرار في هذا الجانب بل هو من عوامل الأزدهار والتقدم.

وقد ضمن القرآن الكريم لأخلاقه وآدابه الثبات والخلود، فربطها بالحق الأصيل الذي قامت عليه السموات والأرض، ونسبها إلى الله سبحانه، وله المثل الأعلى في كل ما خلق ودبر وارتضى من خلق كريم[1].

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

وهذه الأخلاق العليا التي جاء بها الدين فإنها لا تتغير لأنها في مواجهة خطة الإنسان التي لا تتغير، فهي من الثوابت القائمة التي تتحرك من حولها الأشياء والناس، في كل زمان ومكان[3].

ومن هنا كانت هذه الأخلاق مطلقة فهي بالنسبة لكل الناس أمراً واحداً، ثابتة لا تتغير نتيجة تغير ظروف الناس الاقتصادية أو الاجتماعية، لأن الطبائع البشرية واحدة في كل عصر، ومجتمع الريف له نفس أخلاق مجتمع المدينة، وأخلاق الفقير هي نفسها أخلاق الغني.

---

[1] منهج القرآن في التربية، محمد شديد، دار الأرقم، بيروت، د. ط، د. ت: ص179.

[2] سورة النحل، الآية: 60.

[3] فلسفة التربية الإسلامية، التومي الشيباني: ص243.

وهذا الأمر يبعث في النفس إحساس بالمساواة، فكما يعامل الناس بالعدل والرحمة منهم يعاملون بذلك بغض النظر عن مراكزهم الاجتماعية أو أرصدتهم المصرفية، منهم أمام القانون الأخلاقي في سواء لأنه قانون مطلق وثابت.

نصل بحكم عنصر الثبات إلى أننا لسنا مطالبون بأن تتواءم قيم العقائد والأخلاق مع متغيرات المجتمعات، بل على المجتمعات أن تتواءم مع قيم العقائد والأخلاق الثابتة القائمة [1].

ومن صور الثبات في الأخلاق لزومها على كل حال، إن الالتزام بمقتضى الأخلاق مطلوب في الوسائل والغايات فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة، ولهذا لا مكان في مفاهيم الأخلاق الإسلامية للمبدأ الخبيث، كقول أصحاب المفاهيم المادية البحتة (الغاية تبرر الوسيلة) وهو مبدأ لا مكان له في دستور الأخلاق الإسلامية، ومما يدل على ضرورة مشروعية الوسيلة ومراعاة معاني الأخلاق فيها قوله تعالى: (وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[2].

فهذه الآية الكريمة توجب على المسلمين نصرة أخوانهم المظلومين قياماً بحق الأخوة في الدين، ولكن إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار الظالمين لم تجز النصرة لأن وسيلتها الخيانة ونقض العهد، والإسلام يمقت الخيانة ويكره الخائنين[3].

---

[1] الأخلاق العملية في القرآن، العصيمي: ص26.

[2] سورة الأنفال، الآية: 72.

[3] أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان: ص19.

وبقدر ثبات الأخلاق وشيوع أثرها في حياة الناس بقدر ما تزدهر الأمم وتتقدم حتى لو كانت غير مسلمة، فثبات المعايير أمر عظيم لا مكان فيه للمجاملات والنزوات الشخصية، والأهواء الفردية، ولا تقبل التبديل أو الاجتهاد[1].

وإن إقامة العدل وأداء الحقوق لأهلها من أسباب بقاء الدول وتفوقها وغلبتها يقول (صلى الله عليه وآله): ((إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها)) [2].

فالله تعالى يعطيهم في الدنيا ما يستحقونه باعتبار ما عندهم من خير وما يبذلونه من حق.

إن الخلق في منابع الإسلام الأولى – من كتاب وسنة – هو الدين كله وهو الدنيا كلها، فإذا نقضت أمة حظاً من رفعة الله في صلتها بالله، أو في مكانتها بين الناس، فبقدر فضائلها وانهزام خلقها[3].

أما المرونة فهي الخاصية التي ضمنت لشريعة الله أن تكون صالحة للحكم في كل زمان ومكان، لأن الله تعالى هو الذي سنَّ الشريعة وأحكمها لتكون خاتمة الشرائع.. مع اختلاف الأزمنة والأمكنة [4].

وتنطلق مرونتها من عدة أمور منها:

---

[1] خلق المسلم، محمد الغزالي: ص23.

[2] صحيح مسلم، مسلم، 2162/4.

[3] خلق المسلم، محمد الغزالي، بيروت، د. ط، د.ت: ص43.

[4] الشريعة الإسلامية وفقه الموازنات، الكمالي: ص45.

الأول: إنّ الثوابت فيها لا تتغير بتغير الزمان والمكان والحال.

الثاني: الاجتهاد هذا الباب العظيم الذي فتحه الإسلام لعلاج ما يستجد من قضايا وأمور، وهو بذل الطاقة من الفقيه لتحصيل حكم ظني شرع عملي على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه[1].

الثالث: المساحة الواسعة التي يشكلها المباح، حيث تضافرت نصوص القرآن والسنة على بيان سعة هذه الدائرة مقابل دائرتي المطلوب والممنوع[2]، ومن ذلك قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ)[3].

الرابع: قيام الشريعة على مقاصد وقواعد كلية تضمن شمولها لكل حادث، وواقعيتها مع كل جديد فيما لا يتعارض مع ثوابتها[4].

---

[1] الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، حسن أحمد مرعي، الرياض، د. ط، 1396هـ: ص14.

[2] القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، د. ط، 1994: ص121؛ وينظر: الشريعة الإسلامية، الكمالي: ص51.

[3] سورة المائدة، الآية: 4.

[4] أصول الدعوة، زيدان: ص59.

الفصل الثاني
الإمام السجاد عليه السلام وتأصيل المعالجات الأخلاقية

المبحث الأول
نظرة الإسلام الى الأمراض الأخلاقية

ينظر الإسلام إلى الأمراض النفسية والقلبية والاجتماعية نظرته إلى الأمراض الجسدية، فيعترف بها، ويعرف أسبابها وأغراضها، ويحذر من الوقوع فيها ويأمر بالوقاية منها، ثم يعالجها وحرم ترك هذه الأمراض دون علاج لأنّها إن تركت تفاقمت وأفسدت حياة الإنسان، ومن عجز عن علاج ما يفسد حياته خالف الله ورسوله[1].

فقال (صلى الله عليه وآله): ((يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد الهرم)) [2].

وهذه الخطوة الأولى التي تعد ضرورية للقيام بخطوات بناءة لإيجاد مجتمع قوي متماسك، وهذا يعتمد على التطهير والتنظيف والتخلص باطنياً وظاهرياً من الأمراض التي تفتك بالفرد والمجتمع[3].

وهناك اهتمام جاد من الأطباء في الربط بين أمراض النفس وأمراض البدن، أي العلاقة بين الأمراض النفسية والأمراض العضوية وهو ما يطلق عليه أطباء اليوم (الطب النفسي البدني Psycho Somatic medicine) ويعد فرعاً مهماً من فروع الطب ويبحث في العلاقات المتبادلة بين الجسم والنفس وفي تطبيق ما يعرف من الانفعالات على مشاكل المرض[4].

---

[1] النفس في الإسلام، علي عبد الحليم محمود، مصر – القاهرة، ط1، 2005م: ص380.

[2] سنن الترمذي، الترمذي: 81/8.

[3] السلوك الاجتماعي، أيوب: ص43.

[4] الطب الوقائي في الإسلام، عمر محمود عبد الله، مطبعة الزهراء، الموصل، ط1، 1990م: ص178.

فقد تأكد أن للحالة النفسية الأثر البالغ على وظائف الأعضاء الفسيولوجية، فالتوتر العصبي والقلق النفسي، والأرق والخوف وغيرها قد ترفع من ضغط الدم وتساعد على الإصابة بقرحة المعدة أو اضطرابات القولون أو الذبحة الصدرية، وقد ترتفع نسبة السكر في الدم وهناك أنواع من الشلل النفسي والعمى النفسي وفقدان النطق العارض من التأثيرات النفسية[1].

وهذا دليل على أن الأمراض النفسية والقلبية أعظم تأثيراً وأشد فتكاً بالإنسان من الأمراض الجسدية، والأمراض لا تبرأ إلا إذا اتخذت مضادات حيوية لهذه الأمراض حتى يحيا الإنسان ويشعر بقيمته وكرامته.

فالنفس تمرض كما يمرض الجسم، إلا إن مرضها يختلف اختلافاً كلياً عن مرض الجسم، فمرض الجسم دنيوي مادي ومرض النفس أو القلب آخروي، معنوي[2].

فعلاج الجسم ربما يشفى بتناول الدواء واستعماله لفترة معينة من الزمن طالت هذه الفترة أم قصرت.

أما علاج النفس والقلب يختلف من أي مرض آخروي كان، فإن علاجه يحتاج إلى ديمومة حتى الموت ويلقي المرء ربه عز وجل في هذه الحالة يكون صاحب النفس أو القلب قد اطمأن إلى صحة علاجه وشفائه من دائه، وضمن ما كان يرجوه ويتمناه بفضل الله عز وجل ورحمته[3].

---

[1] الطب الوقائي النبوي، محمود الحاج قاسم، الموصل، د. ط، 1983م: ص50.

[2] داء ودواء، سلمان نصيف الدحدوح، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط1، د. ت: ص6.

[3] دار ودواء، الدحدوح: ص8.

هذه الأمراض كـ((سوء الظن والنفاق والسخرية والتجسس واللمز والغيبة والتنابز بالألقاب)) هي في جملتها طاعون، فإذا استطاع الناس الذين ابتلوا بهذه الأمراض الفتاكة التخلص منها واستئصالها وعلاجها، وإلا فسيقضي هذا الداء على جميع المجتمع[1].

[1] داء ودواء، الدحدوح: ص8.

المطلب الأول

السخرية واللمز والتنابز بالألقاب:

ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه إلى العيوب والنقائص على وجه يضحك الناس منه[1].

وهذا قد يكون بالكلام وقد يكون بالمحاكاة والتمثيل بالفعل أو القول وقد يكون بالإشارة والإيماء[2].

إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن الكريم مجتمع له أدب رفيع ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس وهي من كرامة المجموع ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة كرامتها واحدة[3].

والمجتمع الإسلامي وحدة متكاملة كالجسد الواحد لا يمكن الاستغناء عن أي عضو منه مهما كان صغيراً حتى ولا الغدة الصغيرة التي في الجسم فإن لها وظيفة كبيرة وأثراً مهماً في حياة الجسم الإنساني وكذلك للمؤمن مكانته الجديرة به في المجتمع المؤمن حيثما كان ومهما كان جسمه أو شكله الخارجي أو مستواه العلمي أو الاقتصادي أو الثقافي لأن لكل فرد دوره في البناء والتشييد لتحقيق الخلافة الإنسانية على الأرض من أجل ذلك لا يمكن الاستغناء عنه ولهذا يأتي أفراد المجتمع متضامنين متآزرين لبناء

---

[1] السلوك الاجتماعي في الإسلام، أيوب: ص162.

[2] إحياء علوم الدين، الغزالي: 192/2.

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب: 3344/6.

الكيان الاجتماعي كلٌ بحسب طاقته ومقدرته التي منحه الله إياها فلا يجوز احتقار أي مؤمن ولا أن يسخر منه أحد[1].

فإن مناط الخيرية ليس ما يظهر من الصور والأشكال والأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية وإنما هي الأمور الكامنة في القلوب من تحقيق الإيمان وكمال الإيقان، وموارد العرفان وهي خفية فقد يستصغر العبد من عظم الله، ويحتقر من وقره الله، فيسقط من عين الله فينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بأحد إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه ولو في دينه، فلعله يتوب ويبتلى بما ابتلي به[2].

وقد أجمع العلماء على تحريم السخرية، وهو دليل على سمو الإسلام وعلو شأنه في رعاية الشعور الإنساني والمحافظة عليه حتى لا يخرج بكلمة أو إشارة أو محاكاة[3].

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته، فمن طعن عليه أو رد عليه قوله، فقد رد على الله [5].

---

[1] الأهداف العامة في سورة الحجرات، فحلة: ص275.

[2] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الصوفي بن عجيبة (ت: 1224هـ)، تحقيق: أحمد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 2002، 241/7.

[3] السلوك الاجتماعي، أيوب: ص162.

[4] سورة الحجرات، الآية: 11.

[5] معاني الأخبار: ص 195؛ أمالي الصدوق: ص 14.

وعن الرضا، عن ابائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من استذل مؤمنا أو حقره لفقره وقلة ذات يده، شهره الله يوم القيامة ثم يفضحه[1].

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: (لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا)[2]، قال: ((الصغيرة، التبسم والكبيرة الضحك على حلة الاستهزاء وهذا تصريح بأن ذلك من الكبائر))[3].

ولقوله (صلى الله عليه وآله): ((إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة فيقال له هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا جيء أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا جاء أغلق دونه، فما يزال كذلك حتى أن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له هلم... فما يأتيه من اليأس)) [4].

ذلك جزاء الساخرين وهي عقوبة من جنس الذنب المقترف كأنها توبيخ للمستهزئين وتذكر لهم بما كانوا يعملون[5].

وعنه (صلى الله عليه وآله): إن المستهزئين يفتح لأحدهم باب الجنة، فيقال: هلم: فيجئ بكربه وغمه، فإذا جاء أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر... فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال له: هلم هلم، فما يأتيه[1].

---

[1] عيون أخبار الرضا: ٢/ ٣٣.

[2] سورة الكهف، الآية: 49.

[3] تحذير المسلمين من السخرية والاستهزاء بالدين، جمع وتحقيق: عبد الله بن جار الله جار الله، د. ط، 1409: ص12.

[4] شعب الإيمان، للبيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ: 310/5.

[5] الأهداف العامة، فحلة: ص274.

أما الآثار المذمومة للسخرية فهي:

1- إشاعة القبائح في المجتمع بحيث يستخدم المجتمع سيء الأقوال، والأصل هو أن يكون المجتمع نظيفاً من حيث سماع الأقوال المقبولة الجميلة لا العكس[2].

2- ظلم الناس وهذا نتيجة طبيعية للسخرية والاستهزاء مما التجأ إليه أحد إلا وكان الاستعلاء والظلم هدفه ومبتغاه.

3- الخصومة الناتجة عن عدم الرضا بالأذى والشعور بتقليل الاحترام الواجب للإنسان على غيره فيندفع الناس للدفاع عن أنفسهم ورد الأمور إلى نصابها.

4- التقاطع: فالذي يعلم أن الآخرين يؤذونه لا شك سوف يقاطعهم ويهجرهم وقطع التواصل مما لا تشجع الشريعة الإسلامية عليه[3].

5- الساخر يظلم نفسه بتحقير من وقره الله عز وجل واستصغار من عظمه الله.

6- السخرية نذير شؤم للساخرين، فقد كان الغرق عاقبة سيدنا نوح الذين كفروا وسخروا من سيدنا نوح (عليه السلام) [4].

ويؤكد علماء النفس أن ذكر صفة غير لائقة في الشخص ما تولد اليأس والتشاؤم والشعور بالنقص لأن الألقاب ترسخ في لا وعي الفرد وتعطي انطباعات معينة عنه وعن طبائعه ويبدأ في الاقتناع بأنها حقيقته وواقعه الفعلي وبالتالي يسبب له ذلك نوعاً

---

[1] كنز العمال: 8328.

[2] التنابز بالألقاب وآثاره المذمومة، د. أحمد كافي، بيروت، د. ط، د. ت: ص27.

[3] ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الفكر، دمشق، د. ط، د. ت: 988/2.

[4] التفسير الكبير، الرازي: 64/2؛ ينظر: الأخلاق الاسلامية، حبنكة الميداني: 223/2.

من الإحباط وعدم التطور في حياته فيصبح إنساناً سلبياً وانطوائياً ومنكفاً على ذاته وينسحب من المجتمع[1].

وهذا يؤثر على قيمة الذات لدى الفرد وبالتالي شعوره بقيمة ذاته مما يؤثر على ثقته بنفسه وهذا ما يجعله خائفاً ومتردداً وغير جريء وبالتالي تقل إبداعاته ومقدرته على استخدام عقله وقدراته الإبداعية.

أما آثاره على الأطفال أيضاً فهي بالغة جداً وذلك أنّ الطفل في محاولته التغلب على الشعور بأنه غير مرغوب فيه يحاول أن يتكيف مع آثار السخرية والاستهزاء من أعز وأقرب الأقرباء له.

وفي بحث نشرته الدورية الأمريكية للطب النفسي كشف عن أن الإساءة اللفظية في الطفولة يمكن أن تجرح الأطفال بشدة منها:

1- تدني مستوى الاعتداد بالذات أو عدم الثقة بالنفس.

2-السلوك المعادي وقد يكون رد فعل بعض الأطفال، من خلال إظهار السلوك العدواني بضرب الأطفال الآخرين أو الشجار الدائم مع غيرهم من الأطفال.

3-سوء المعاملة المستمر قد يؤثر على نمو الطفل جسمانياً واجتماعياً وأكاديمياً أو عاطفياً وقد يبدأ الطفل بإظهار علامات الاضطراب العاطفي مثل مص الإبهام أو عدم التفوق دراسياً وعلى المدى الطويل أظهرت الدراسات أن الطفل قد

[1] التنابز بالألقاب وآثاره المذمومة، د. أحمد كافي: ص29.

يكون عرضة للاكتئاب والقلق عند الكبر وبعض الأطفال يلجأون للعنف وسيلة للتفاهم[1].

إن في كل الأمم قوانين تجرم الاعتداء على الآخرين سواء أكان قولاً أو ممارسة.

فكل من يحقر شخصاً بأية وسيلة من وسائل التحقير يعاقب بالجلد والحبس حتى ستة أشهر[2].

ويمكن أن نعطي علاجاً السخرية وتأتي عن طريق:

1- العلم: بأن يعلم أنه بالسخرية والاستهزاء بالمؤمن يتعرض لمعصية الله تعالى وسخطه. وأن يعلم أنه كما لا يجب أن يسخر به أحد من الناس فكذلك الآخرين لا يحبوا أن يسخر بهم أحد. وأن يعلم الإنسان أنه في يوم من الأيام قد يصاب بنقص أي شيء متعلق بجسده أو أهله أو ماله – الدنيا دار بلاء – فكما لا يقبل بسخرية الآخرين منه فلا يسخر من غيره. وأن يعلم أنه مهما بلغ من كمال الخلقة والمكانة فهناك من هو أحسن منه خلقة ومكانة وأفضل منه وقد يسلط الله عليه فيسخر منه. وأن يعلم أنه قد يسخر ويستهزأ بولي من أولياء الله تعالى وهو لا يعلم[3].

وقد حرص الإمام السجاد على تشجيع طلب العلم؛ فقد كان يشجع أفراد الأمة على طلب العلم، ويذكر تلك المكانة العالية التي يقف عليه طالب العلم، فقد رُوي في

---

[1] الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، د. إيمان حسين شريف، الأحد، 22 / ذو الحجة / 1429هـ – 2008م، العدد 1081.

[2] نظام العقوبات، عبد الرحمن المالكي، مطابع دار الغندور، بيروت، د. ط، 1965م: ص207.

[3] التحرير والتنوير، محمد الطاهر محمد بن عاشور (ت: 1393هـ)، دار سحنون، تونس، د. ط، 1997م: 246/27؛ وينظر: جريدة الجزيرة، الرياض، 10 شباط 2013م: ص؟؟؟؛ النهي عن السخرية بالناس واحتقارهم، أمين بن عبد الله الشقاوي، مكة، د .ت: ص24.

مكارم أخلاق الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه:أنه كان إذا جاءه طالب علم قال مرحبا بوصية رسول الله ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب و لا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين السابعة [1].

2- العمل: يأتي عن طريق المراقبة التامة للنفس ومحاسبتها. ومعاهدة النفس. والتفكير في الكلام قبل التلفظ به[2].

أما اللمز هو أن يعيب الإنسان أخاه في وجهه بكلام ولو خفي ورب لمز خفي هو أشد من طعن صريح وأعمق جرحاً في داخل النفس لأن فيه فضلاً عن الطعن والتجريح بالعيب معنى استغباء الملموز واستغفاله، فكأن اللامز يشعر الذين في المجلس أن الملموز غبي لا ينتبه إلى الطعن الذي يوجه ضده في رمز الكلام.

واللمز قبيحة اجتماعية تورث الأحقاد والأضغان وتقطع أواصر الأخوة الإيمانية وهو ظلم من الإنسان لأخيه الإنسان وعدوان على حقه عليه[3].

وقد خصص الإمام السجاد عليه السلام حقا من رسالة الحقوق يتحدث فيه عن المعلم فيقول:

(وحق سائسك بالتعلم، التعظيم له، والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والاقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحدا، ولا تغتاب عنده أحدا، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك

---

[1] بحار الأنوار – العلامة المجلسي: 1/ ١٦٨.

[2] الأخلاق الإسلامية، حبنكة الميداني: 223/2.

[3] الأخلاق الإسلامية وأسسها، حبنكة: ص236.

بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس عدوه، ولا تعادي له وليا، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه عز وجل لا للناس) [1].

وأما التنابز بالألقاب: فهو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة[2]، وعم الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها.

وقيل: لقب بعضهم بعضاً والتلقيب المنهي عنه هو أن يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيراً به وذماً له وشيناً[3].

قال ابن عباس: التنابز بالألقاب أن يكون لرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من عمله وقيل: هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر. قال ابن عباس: ((التنابز بالألقاب أن يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب، فنهى الله تعالى أن يعير بما سلف)) [4].

وقال بعض العلماء المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذماً له[5].

أما ما يحبه من الألقاب مما يزينه، وينوه به فلا بأس به وكذلك الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج فإذا كان الملقب بها لا يكرهها فلا تدخل تحت عموم النهي، وأما الألقاب التي تكسب صاحبها حمداً ومدحاً وتكون حقاً مصدقاً

---

[1] شرح رسالة الحقوق – الإمام زين العابدين: ص ٤٠٩.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب: 3344/6.

[3] الكشاف، الزمخشري: 309/4.

[4] جامع البيان، الطبري: 301/22.

[5] تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التأويل، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت 741هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ: 53/4.

فلا تكره كما قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (أبو تراب) ولعلي زين العابدين، أو السجاد، وهكذا [1].

الفرق بين السخرية واللمز والتنابز:

السخرية: تغلب فيها المشاركة الجماعية إذ الساخر يضحك بسخرية الآخرين.

اللمز: يغلب فيه الطابع الفردي الخفي الذي يدركه أهل النباهة. والنبز باللقب: تغلب فيه المشاركة، فمن يُنبزَ نَبزَ كالتقاتل[2].

مما سبق يتضح لنا: أن التنابز بالألقاب إنما هو داخل في مفهوم السخرية كما دخل فيها مفهوم اللمز ومن ثم اللمز والتنابز بعد ذكر السخرية من قبيل ذكر الخاص بعد العام اهتماماً به[3].

وهناك تأثير للكلمة الجارحة، وسميت جارحة لأنها تسبب جروحاً حقيقية في الدماغ، وتميت عدة خلايا أو تتلف عملها مسببة نوعاً من العطب في التفكير، ولهذا يعاني الشخص المجروح آلاماً نفسية وشعوراً سلبياً وإحباطاً، ليس هذا فقط بل كثيراً ما يتحول الشخص المجروح إلى شخص فاشل غير منتج[4].

إن الإنسان المسلم المتدين عنده كتاب قيّم يعلمه التحلي بالخلق الكريم، وعنده من التعاليم الإسلامية الكثير والتي تجعل منه إنساناً في أعلى مراتب الكمال لو اتبعها

---

[1] الأهداف العامة في سورة الحجرات، فحلة: ص255.

[2] الأخلاق الإسلامية وأسسها، حنبكة الميداني: 333/2.

[3] النهي عن سخرية المسلم بأخيه المسلم، عبد العزيز الراجحي، الرياض، د. ط، 1404هـ: ص44.

[4] الكلمات الجارحة وشم مؤلم في اللاشعور، فاطمة الرومي، مجلة اليمامة، مجلة أسبوعية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية،2015/3/5: ص1.

وطبقها. فكيف يكون عذره إذا ساء خلقه مع الآخرين، والأمر الأشد ضراوة أن يكون ذلك باسم الدين والدفاع عنه!

كان يطلق مثلاً على أتباع أهل البيت لقب (الرافضة، أو الروافض) من قبل مناوئيهم وذلك للإنقاص من شأنهم واستثارتهم، وقد كان ذلك يؤذيهم ويزعجهم حتى أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ومن باب التخفيف عنهم ومواساتهم وتهدئتهم حتى لا يستدرجون لمثل هذا الأمر كان يقول: «ما لهم ولكم؟ وما يريدون منكم، وما يعيبونكم؟ يقولون الرافضة، نعم والله رفضتم الكذب واتبعتم الحق...»[1].

ولكن يبقى هذا اللقب نبزاً للشيعة من قبل الآخرين وهو لا يجوز ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ ولكن مع الأسف لا يزال هذا اللقب رائجاً عند الأطراف الأخرى نسمعه في الإذاعات ووسائل الإعلام، ونقرأه في بعض الفتاوى والكتب الدينية!

وتؤكد الدراسات الحديثة هذه الحقيقة بأنّ هناك أثراً كبيراً تتركه الكلمة الطيبة، أو الكلمة الخبيثة، فالكلمة الطيبة قد تكون سبباً في شفاء إنسان أو سعادة آخر، وقد تكون الكلمة الخبيثة سبباً في إيذاء الآخرين أكثر من الضرب.

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة فيقول: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)[2].

---

[1] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار احياء التراث العربي، ط3، د. ت: 36/26.

[2] سورة إبراهيم، الآيات: 24-25-26.

ويؤكد النبي (صلى الله عليه وآله) هذا المعنى عندما أخبر بـ((أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وأن العبدَ ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم))[1].

وهذا يعني أن المؤمن ينبغي أن يكون دقيقاً في كلامه ويختار الكلمة الطيبة دائماً لأن لها تاثيراً كبيراً على الإنسان. وأكدت الدراسة أيضاً أن هناك جانباً في المخ قد يكون مسؤولاً عن التجارب والكلمات المؤلمة التي يتعرض لها الإنسان هو القشرة المخية التي تقوم بعمليات معقدة تشمل التفكير والإدراك واللغة. وأن هذا الجزء من المخ يحسّن قدرة الإنسان على التكيف مع الجماعات والثقافات كما أنه مسؤول عن رد الفعل على الألم الذي له علاقة بالجماعة، يقول مايكل هو جسمان الأخصائي في علم نفس الطفل في ألمانيا: إنه من المرجح أن يتكون عدة أجزاء في المخ تتعامل مع الألم العاطفي الذي يعتبر تأثيره أبعد مدى، أي إنه في الألم البدني يمكن رؤية الجراح والكدمات أما الألم العاطفي فهو يخلف في الغالب القلق والخوف. وهذا يدل على تأثير الكلمة إن كانت طيبة أو خبيثة فإنها تترك أثراً في دماغ المتلقي وهذا الأثر لا يزول بمرور الأيام بل يبقى، لذلك لابد من الحرص على أن نترك الأثر الطيب في دماغ وقلوب الآخرين[2].

---

[1] صحيح البخاري، 77/4، رقم الحديث (6487)؛ صحيح مسلم، 1745/1، رقم الحديث (2988).

[2] news,bbc.co.uk/hi/Arabic/sci/tech/newsid-7589000/7589355.stw؛ وينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن، عبد الدائم الكحيل www.lahee7.com/ar.

المبحث الثاني
سوء الظن

مفهوم سوء الظن لغةً واصطلاحاً.

قيل: ساءه يسوءه سواءً وسواء: فعل به ما يكره نقيض سره والاسم السوء بالضم وسؤت الرجل سواية ومساوية يخففان أي ساءهُ ما رآه مني وسؤت به ظناً وأسأت به الظن. ويقال أسأت به وإليه وعليه وله[1].

ومعنى الظن لغة: ظن الشيء ظناً: كلمة بغير يقين وقد تأتي بمعنى اليقين وفلاناً به: اتهمه.

والظنة: التهمى والظنين: المتهم، الذي تظن به التهمة ومصدره الظنة ولجمه الظنين ورجل ظنين: متهم من قوم أظناء[2].

ومعنى سوء الظن اصطلاحاً: هو عدم الثقة بمن هو أهل لها[3].

وينقسم الظن إلى قسمين:

ظن محمود: وهو ظن خير بالإنسان، وهذا مطلوب أن تظن بإخوانك خيراً ما داموا أهلاً لذلك وهو مسلم ظاهرة العدالة، فإن هذا يظن به خيراً ويثني عليه بما ظهر لنا من إسلامه وأعماله.

---

[1] مقاييس اللغة، ابن فارس: 113/3؛ وينظر: البحر المحيط، ابن عباد، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001: 415/8.

[2] لسان العرب، ابن منظور: 13/ 273.

[3] أدب الدنيا والدين، الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ)، تحقيق: محمد كريم راجح، دار اقرأ، لبنان، ط 4، 1985: 186/1.

وحكم على بعضه بأنه إثم، إذ بعضه ليس بإثم، ولا يلزم اجتنابه وهو ظن الخير بالناس وحسنه بالله تعالى[1].

ظن مذموم: وهو ظن السوء بالمؤمنين ويشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منه التستر والصلاح وأونست منه الأمانة[2].

ويظهرُ مِن كلماتِ كثيرٍ مِن أهلِ العلمِ أنّ العنصرَ البشريّ الذي أوجدَهُ اللهُ سبحانَه وتعالى ميّالٌ بطبعِه البشريّ إلى أن يكونَ إجتماعيّاً معَ أبناءِ جنسِه قائِماً على التّعارفِ والإنسجامِ والتوائمِ فيما بينَهم، وهذا ما أكّدَه القرآنُ العظيمُ في قولِه تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} [الحجراتُ: 13]. وطابعُ التّعارفِ يولّدُ المؤانسةَ والمواشجةَ والتّحاببَ بينَ النّاسِ...، ولكن ما يُهدّدُ هذا الكيانَ المُتراصَّ ويفتّتُ لحُمتَه هوَ عاملُ الرّيبِ والشكِّ أو الظنّ. وقد نبّهَ على ذلكَ سبحانَه وتعالى وذمّ صفةَ الظنِّ والشكّ، وأمرَ باجتنابِه: قالَ تعالى: {يا أيّها الذينَ آمَنُوا اجتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعضَ الظَّنِّ إِثمٌ} [الحجراتُ: 12].

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليهِ السّلام: دَع ما يريبُك إلى ما لا يريبك. فالرّيبُ والشكُّ أو الظنُّ بالأصلِ منَ الأمورِ العارضةِ على فطرةِ الإنسانِ، فإذا هيمنَت عليهِ، أصبحَت خطراً حقيقيّاً، يُهدّدُ المفهومَ الأوّلَ بينَ البشريّةِ، إذ تزيلُ كلَّ مودّةٍ وتزرعُ الأحقادَ والأضغانَ بينَ النّاس. أضِف إلى ذلكَ أنّها تُعَدُّ عاملاً أساسيّاً لفقدانِ الرّاحةِ وجلبِ الهمِّ والغمِّ للمرءِ.

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993: 151/5.

[2] روح المعاني، الألوسي: 156/26.

وهذا ما بيّنَه الإمامُ السجاد عليه السّلام في مناجاتِه: (فَإِنَّ الشُّكُوكَ وَالظُّنُونَ لَواقِحُ الفِتَنِ، وَمُكَدِّرَةٌ لِصَفوِ المَنآئِحِ وَالمِنَنِ)[1]. فعندَما تكونُ الأمورُ مُلقّحةً بالشكِّ ويكونُ غطاءً لها، تُحجبُ كلُّ حسنةٍ ويظهرُ كلُّ قبيحٍ ويُفضحُ كلُّ مستور .

وتدبّر قولهُ تعالى: (يا أيّها الذين آمَنُوا اجتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ)، فإنّهُ سبحانَه وتعالى أبهمَ الكثيرَ منَ الظنِّ، ليحتاطَ المُؤمنُ في كلِّ ظنٍّ، ويتأمّلَ فيهِ حتّى يُعلم أنّهُ مِن أيّ القبيلِ، فالقرآنُ العظيمُ يدعونا الى الإجتنابِ عَن أكثر الظنّ كونَ الغالبِ فيهِ نتائجُه السّلبيّةُ وغيرُ المتيقّنةِ، فيكونُ مدعاةً للوقوعِ بالإثم.

وجاء عن النبي (صلى الله عليه وآله) ما يدل أن الظن كذب بل هو أكذب الحديث، فقال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث...)) [2].

أما ظن السوء بمن قامت القرينة على أنه أهل لذلك فهذا لا حرج على الإنسان أن يظن السوء به، ولهذا من الأمثال المضروبة السائدة: ((احترسوا من الناس بظن السوء))، ولكن هذا ليس على إطلاقه كما هو معلوم وإنما المراد: احترسوا من الناس الذين هم أهل لظن السوء فلا تثقوا بهم والإنسان لابد أن يقع في قلبه شيء من الظن يأخذ من الناس لقرائن تحتف بذلك.

أما لظهور علامة في وجهه، بحيث يظهر من العيوب والكراهية في مقابلتك وما أشبه ذلك. أو من أقواله التي تصدر الإنسان منه فيظن به ظن السوء فهذه إذا قامت القرينة على وجوده فلا حرج على الإنسان أن يظن به السوء.

---

[1] بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ٩١ /١٤٧.

[2] مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995م: 153/7.

وسوء الظن بالمسلم من غير داع أو مبرر هو مركب وعر وسلوك شائن وآفة ضارة بالمجتمع الإسلامي ضرراً بليغاً لأنه يقطع حبال الأقربين ويزرع الشك بين أفراد المجتمع ويدفع المرء إلى أن يغتاب من ظن به السوء أو يحتقره أو يقصر في حقه وقد يجره ذلك إلى أن يتمادى في سوء الظن فيتهم أخاه بأمور لا صلة له بها ويلصق به مفاسد هو يرى منها وذلك كله وبال وفساد وضرر اجتماعي خطير[1].

والظن السيء دافع إلى الضلال ومولد لإرادات الشر وخواطر في القلب وهو منفذ للشيطان لإضلال الناس[2].

وإن من أسباب الوقوع في سوء الظن:

1- ما يقوم به الشيطان من وسوسة في قلب المسلم، فيدفعه إلى سوء الظن وكلما كان الإنسان عنده ضعف وجبن كان تزيين الشيطان أكبر أثر فيه إذ ينساق لكل فكر فاسد يدخل وهمه وظنه[3].

2- الجهل في سوء القصد والفهم فالجهل من الأسباب التي تؤدي إلى سوء الظن بسبب عدم فهم الحقيقة[4].

---

[1] السلوك الاجتماعي، أيوب، دار البحوث العلمية، القاهرة، ط2، 1979م: ص92.

[2] الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة، ط1، 2003م: 518/2.

[3] سوء الظن، دراسة قرآنية، رنا يوسف موسى زواني، قسم أصول الدين لكلية الدراسات العليا، نابلس – فلسطين، د. ط، 2014م: ص57.

[4] ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبد الحكيم، الرياض، د. ط، د. ت: 201/1-202.

3- الحقد والحسد على المظنون به: سوء الظن ما ظننته من سوء رأيك فيه أو لأجل حقد في نفسك عليه أو لسوء نية تكون أو خبث حال فيك تعرفها من نفسك فتحمل حال أخيك عليها وتقيسه بك فهذا هو سوء الظن والإثم[1].

4- الإسراف في الغيرة: إن من الغيرة ما يحب ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله الغيرة في غير ريبة والغيرة التي يكرهها الله الغيرة في ريبة[2].

5- التواجد في مواطن التهم والريب: فمن أسباب إساءة الظن بالمرء تواجده في أماكن الريب.

6- صحبة الأشرار: فصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ومن صحب الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريباً فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشر[3].

- آثار سوء الظن على الفرد والمجتمع:

إن انطباعات الإنسان عن الآخرين، ورؤيته لهم، تؤثر على علاقته بهم، وتعامله معهم. فالإنطباع الجيد عن شخص يشكل أرضية للإقتراب منه، وصنع العلاقة معه، بينما الرؤية السلبية تجاه أي شخص تخلق حاجزاً نفسياً يحول دون الثقة به والإنفتاح عليه، وربما تتطور إلى دافع للخلاف والعداوة.

---

[1] قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي:371/2.

[2] إحياء علوم الدين، الغزالي: 92/2.

[3] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان (ت: 354هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 1977م: ص100.

وتتشكل انطباعات الإنسان عن الآخرين من خلال ما يسمعه أو يلحظه من مواقفهم وتصرفاتهم.

بيد أن كل موقف أو ممارسة تصدر من أحد، غالباً ما تحتمل أكثر من تفسير إيجابي وسلبي، فحتى الأعمال المصنّفة ضمن قائمة الأعمال الصالحة، يمكن التشكيك في دوافع وبواعث القيام بها، فتكون مصدراً لانطباع سيئ.

ولأن الإنسان ليس له سبيل إلى القطع والجزم بنوايا الآخرين، ولا يعلم على وجه اليقين دوافع وملابسات كل مواقفهم وتصرفاتهم، فإن التفسيرات والإنطباعات التي تنقدح في ذهنه عنهم تبقى مجرد ظنون واحتمالات.

فالتفسير الإيجابي ينتج ظناً حسناً بينما التفسير السلبي يعني ظناً سيئاً. وهكذا تتراوح انطباعات الإنسان عن الآخرين بين حسن الظن وسوء الظن.

إن حسن الظن يمنح الإنسان رغبة واندفاعاً نحو الآخرين، ويجعله أكثر قدرة على صنع العلاقة معهم، وعلى العكس من ذلك فإن سوء الظن يخلق نفوراً من الآخرين وتحفظاً تجاههم، وقد يكون مدخلاً إلى العداوة والخصام[1].

ومن ثمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه [2]، قال الله تعالى: (وَلا تَجَسَّسُوا)[3].

وقيل: ((اعتقاد جانب الشر وترجيحه على جانب الخير فيحتمل الأمرين معاً))[4].

---

[1] الارتياب مدخل إلى العداوة، الشيخ علي الصفار: https://saffar.org/?act=artc&id=740

[2] إحياء علوم الدين، الغزالي: 152/3.

[3] سورة الحجرات، الآية: 12.

[4] نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): 4652/10.

استناداً إلى دراسات نفسية واجتماعية متخصصة في هذا الشأن يبين مختصون أن ظاهرة سوء الظن من الناحيتين السيكلوجية والسيسيولوجية لها أثر على الفرد والمجتمع فهي ظاهرة خطيرة وفيروس يحطم جهاز المناعة لدى المجتمعات والأفراد.

وإن هذا الأمر ينعكس على حياة الفرد وعلاقته مع الآخرين بشكل عام فقد يتحول إلى شخص انطوائي وغير متفاعل، إذ أن توقعاته الداخلية المسبقة للأحداث تبعده عن الآخرين في سبيل تحقيق الأمان الذي ينشده لنفسه وهذا يختلف تماماً عن (الحرص) الذي يجب على الإنسان اتباعه.

بخلاف حسن الظن بالآخرين وتوقع الأفضل منهم يعد من الأمور الإيجابية التي يجب أن يتبعها الناس لأن توقع الأفضل يجعلهم يشعرون بالأمان مع الآخرين ويسهم في بناء مجتمع متحاب ومتكافل يشعر فيه الفرد بأن كل من حوله قد يقدمون له المساعدة في هذه الحياة[1].

وقد اكتشف العلماء حديثاً أن مخ الإنسان يتوقع ما تراه عيناه في محيط مألوف وأنه لا يبذل جهداً إضافياً بصورة فجائية إلا إذا رصدت العين عنصراً غير متوقع إذ العمليات كلها تتم في الدماغ حتى تتأصل ويصبح على الإنسان من السهل الاعتقاد بها[2].

وقد أفاد الباحثون من (معهد ماكس بلانك) لأبحاث المخ والإدراك البشري في فرانكفورت: بأن المجهود الذي يبذله المخ يكون أقل في حالة النظر إلى شيء مألوف،

---

[1] سوء الظن يهدم العلاقات الاجتماعية، محمود عبد العزيز، جريدة الراية، الدوحة، 2016/11/5: ص2.

[2] آثار سوء الظن من العلم الحديث.

مما يشير إلى أنه توقع سيراه الإنسان[1]. ويؤكد البحث أن الدماغ يحاول توقع الإشارات المألوفة التي عندما تصح فإنه يستفيد منها في قدرته على الاستجابة بشكل أكثر فعالية أما في حالة التوقع بشكل خاطئ فإن ذلك يتطلب استجابات هائلة لمعرفة سبب الخطأ والتوصل إلى توقع أفضل.

وفي الأحوال كافة فإن التوقعات الخاطئة تقود لترسيخ أفكار خاطئة عن الآخرين مما يؤدي إلى مشاكل اجتماعية خطيرة.

أما علاج سوء الظن فيكون بالآتي:

1- أن يدرب الإنسان نفسه على الإقلاع عن سوء الظن فإن عليه أن يدعو بظهر الغيب لأخيه المسلم الذي أساء الظن به[2].

2- الحرص على المصارحة ولكن بأسلوب ليق يراعي مشاعر الطرف الآخر[3].

3- أن يحذر الإنسان نفسه من الوقوع في الآثام والمعاصي نتيجة لتلك الظنون السيئة لأن أغلب هذه الظنون ما هي إلا أوهام في رؤوس أصحابها.

4- العفو عن الهفوات وستر الزلات لأننا لو توقفنا أمام كل زلة وهفوة فلن يسلم أحد من المسلمين.

5-التثبت وعدم التسرع باتهام الآخرين من أجل التوصل إلى الحقائق ودحض الافتراءات فيجب البحث والتحري ومراجعة الشواهد ومقارنة الأدلة قبل التسرع باتهام الآخرين وقبل الإدلاء بأي رأي كان[1].

---

[1] آثار سوء الظن من العلم الحديث.

[2] سوء الظن يهدم العلاقات الاجتماعية، محمود عبد العزيز: ص2.

[3] سوء الظن يهدم العلاقات الاجتماعية، محمود عبد العزيز: ص2.

المبحث الثالث

التجسس

من أجل بناء علاقات اجتماعية يكون أساسها الألفة والانسجام بين الناس، لا بد من بناء قاعدة أخلاقية صلبة تحفظ الاحترام المتبادل بين أبناء المجتمع، وتحمي حقوق الأفراد والجماعات من أي إساءة أو عدوان.

قال تعالى:(وَلا تَجَسَّسُوا)[2]، وقد قرئ ولا تحسسوا بالحاء بدل الجيم[3].

أما الفرق بين التجسس والتحسس: التجسس: بالجيم وهو البحث عن الشيء.

والتحسس: هو الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يستمع على أبواب الناس ليستخبر عن أنبائهم[4].

وقال أبو عمرو بن العلاء: التجسس ما كان وراء وراء.

والتحسس: بالحاء الدخول والاستعلام. وأما التحسس فيكون غالباً في الخير[5].

كما قال الله عز وجل إخبار عن يعقوب (عليه السلام): (يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ.....)[6].

---

[1] علم النفس الإسلامي، د. رمضان محمد، الجامعة الإسلامية، بغداد، ط1، 2010م: ص91.

[2] سورة الحجرات، الآية: 12.

[3] تهذيب اللغة، الأزهري: 263/3؛ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د. ط، 1998: 251/2.

[4] نظرات في سورة الحجرات، الصواف: ص131.

[5] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 354/7.

[6] تفسير سورة يوسف، الآية: 78.

وقد يستعمل كل منهما في الشر.

قال ابن حبيب: ((بالحاء أن تسمع ما يقول أخوك فيك، وبالجيم أن ترسل من يسأل لك عما يقال لك في أخيك من السوء))[1].

كما ثبت في الحديث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ((ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله أخواناً))[2].

التجسس في اللغة:

مصدرها جس الخبر، وتجسسه، أي بحث عنه وفحصه والمجس مسه، ما جسه وتجسس الخبر هو التفتيش عن بواطن الأمور، والجاسوس هو صاحب السر وقيل التجسس هو أن يطلب الخبر لغيره والجاسوس من العين التي تتجسس الأخبار ثم يأتي بها وقيل الجاسوس الذي يتجسس الأخبار وجمعها جواسيس والجيسس ويقال جس الشخص بعينه أحد النظر إليه ليستبينه ويستثبته[3].

وقيل: هو محاولة الاطلاع على عورات المسلمين وأمورهم وأحوال الدولة الإسلامية وأخبار العدو بذلك ولا شك أن هذا الفعل جريمة كبيرة تهدد سلامة الدولة

---

[1] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد (ت: 855هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، 2001: 133/20.

[2] المسند، أحمد: 287/2.

[3] لسان العرب، ابن منظور: 7/ 377.

لاسيما في أوقات الحروب[1]. وقال مجاهد في قوله (ولا تجسسوا): قال ((خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله)) [2].

وقيل: هو الشخص الذي يطلع على عورات المسلمين وينقل أخبارهم للعدو[3].

ولقد ورد تعريف الجاسوس في القانون الدولي العام بما يأتي:

هو الشخص الذي يعمل في خفية أو تحت ستار كاذب في جمع أو محاولة جمع معلومات عن منطقة الأعمال الحربية لإحدى الدول المتحاربة بقصد إيصال هذه المعلومات لدولة العدو[4].

وهذا التعريف فيما يبدو لنا غير جامع، لأنه حصر التجسس في حالة الحرب فقط، مع أنه قد يكون التجسس موجوداً في حالة السلم، كما أن التعريف جعل التجسس مقصوراً على الأعمال الحربية، بينما يدخل التجسس في نواحي الحياة المختلفة الأخرى التي لا يقل نقله أهمية على النواحي العسكرية كنقل مواضع ضعف اقتصاد بلد ما، أو الخلافات السياسية والذي يعد من أكبر منافذ الأعداء للهيمنة والتمكن[5].

---

[1] أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982: ص240.

[2] جامع البيان، الطبري: 304/22.

[3] تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي الزيلعي، فخر الدين الحنفي (ت: 743هـ)، المكتبة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، د. ط، 1313هـ: 368/3.

[4] القانون الدولي العام، د. علي صادق أبو هيف، مصر – الاسكندرية، ط7، 1965م: ص64.

[5] أحاكم الجاسوس في الشريعة الإسلامية، د. محسن عبد فرحان الجميلي، دار عمار، الأردن – عمان، ط1، 2010م: ص8.

كما أنه أن يكون بالتجسس على شخص أو جماعة أو حزب كما يكون على دولة، وقد يكون لصالح جماعة أو دولة[1].

لذا فإن التعريف المناسب للجاسوس فيما يبدو لنا هو: كل من يتتبع الأخبار ويتفحصها جاعلاً خدماته الاقتصادية والفكرية والحربية والمعلوماتية وغيرها خفية في خدمة العدو في حالة الحرب والسلم سواء كان هذا العمل لصالح دولة أو جماعة أو حزب[2].

والنهي في هذه الآية عام يشمل كل تجسس سواء اكان تجسساً لنفسه أو لغيره وسواء أكان للدولة أم للأفراد أم للتكتلات وسواءً كان الذي يقوم به، أي التجسس الحاكم والمحكوم فالكلام عام يشمل كل شيء ينطبق عليه أنه تجسس فكله حرام[3].

نصوص كثيرة وردت عن رسول الله وأهل بيته الطاهرين تنهى عن التجسس وتؤكد على حرمة الناس، وحرمة التعدي عليها، ورد عن رسول الله قوله: «لا تتبعوا عثرات المسلمين، فإنه من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته، ومن تتبع الله عثرته يفضحه»[4].

إن تتبع نقاط ضعف الآخرين، وتتبع الآخرين لنقاط ضعفي يؤدي إلى تفشي هذا الأمر السيئ، أو أن الله تعالى وعن طريق الغيب يسلط على الجاسوس من يفضح عوراته ونقاط ضعفه كما فعل بغيره، وفي ذلك رادع له ولغيره.

---

[1] أحكام الجاسوس، الجميلي: ص8.

[2] أحكام الجاسوس، الجميلي: ص8.

[3] ظلال القرآن، سيد قطب: 3346/5.

[4] ميزان الحكمة: 42/2.

ورد عن الإمام الباقرعليه السلام: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوماً ما»[1] في بعض الأحيان قد يكون عندك صديق، وبحكم هذه العلاقة يطلعك على بعض أسراره وخصائصه، ولكن البعض يسيء استخدام هذا الثقة ويفتح له سجلات لحفظ هذه الأسرار حتى إذا ما نشبت بينه وبين صديقه عداوة فتح سجله السري وأفشى ما فيه. وهذا من أقبح الممارسات، والإمام الباقر يعتبره على درجة قريبة من الكفر.

عن عبد الله بن سنان قال: قلت للإمام جعفر الصادق عليه السلام: «عورة المؤمن على المؤمن حرام؟

قال: نعم.

قلت: تعني سفليه؟ أي عورته الجسدية.

قال: ليس حيث تذهب إنما هي إذاعة سره«.

وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام يقول: «تتبع العيوب من أقبح العيوب، وشر السيئات». وقال: «من بحث عن أسرار غيره أظهر الله أسراره"".

ومن الأساليب السيئة في هذا المجال أن ترى شخصين يتحدثان ولا يريدان أن يسمع أحد حديثهما، فتوجه سمعك لتسمع ما يهمسون به. إنك كما تحب أن تحترم

أسرارك فعليك باحترام أسرار غيرك، جاء عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون يصب الله في أذنيه الآنك»[2].

---

[1] ميزان الحكمة: 403/8.

[2] نفسه.

وقد شدد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في النهي عن التجسس والتحذير منه، وبين أنه مفسداً للاخوة وسبب في تقطيع الأواصر والصلات وسبيل إلى إفساد الناس.

عن أبي برزة الأسلمي قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ فقال: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من يتبع عورات المسلمين يفضحه في بيته)) [1].

وفي الحديث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: ((من أطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه)) [2].

وورد أيضاً قوله (صلى الله عليه وآله): ((من استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون صب في أُذنيه الآنُك يوم القيامة)) [3].

أما الحكمة من النهي عن التجسس هو أن يدرك المسلمون أن للمسلم ولكل إنسان مسالم حرمته وإن حرمة المسلم في مسكنه وفي أقواله وأفعاله وآرائه وأفكاره يجب أن تصان وتحترم وأن من يعتدي على مسلم بالنظر إلى ما في بيته عن طريق التلصص والتجسس يعد مجرماً إجراماً قد يُحل قلع عينه عند النظر من غير أن يكون له في المطالبة بالقصاص أو الدية.

---

[1] المسند، أحمد: 420/4؛ والسنن، البيهقي: 247/10؛ ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، شرف الحق أبو عبد الرحمن، تحقيق: أبو عبد الله النعماني الأثري، دار ابن حزم بيروت، د. ط، 2005: 2160/9.

[2] صحيح مسلم، مسلم: 181/6.

[3] صحيح البخاري، البخاري: 42/9.

وكذلك لا يحل التلصص والتجسس على ما يقوله الناس من كلام في خلواتهم ومناجاتهم ومن فعل ذلك عذب في الدنيا بفضح أمره وفي الآخرة بإذابة الرصاص في أذنه التي تتسمع وتتلصص بغير إذن[1].

ويستثنى مما تقدم حالات الضرورة المبيحة للتجسس وتتبع من يخشى ضرره ومن هذا ما ذكره الماوردي؛ فقد قال: ((وأما ما لم يظهر من المحظورات فليس للمحتسب أن يتجسس عنها، ولا أن ينتهك الأستار حذراً من الاستتار بها فإن غلب الظن استتار قوم بها لإمارة دلت وآثار ظهرت ويكون في تركهم حرمة يفوت استدراكها مثل أن يُخبر من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذا الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذراً من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات، وهكذا عرف ذلك قوم من المتطوعة – القائمين بالحسبة جاز لهم الإقدام على الكشف والإنكار))[2].

ويستثنى من ذلك أيضاً استخبار أحوال الأعداء وكشف أسرارهم ومؤامراتهم على المسلمين فقد دلت نصوص الكتاب والسنة وأحداث السيرة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم على مشروعية استخبار أحوال الأعداء وتتبع عورتهم ومعرفة خططهم ومكائدهم من اجل التمكن من إحباطها والعمل على عدوانهم قبل وقوعه لأن هذا النوع من التجسس في نظر الشريعة الإسلامية نوع من الجهاد يثاب عليه المواطن إذا كان خالصاً لوجه الله تعالى وقام به خدمة لدينه وأمته من كيد الأعداء وخدمة لوطنه من دسائس المخربين سواء أكان ذلك داخل البلاد أو خارجها، وأن الذي يقوم بذلك هو

---

[1] السلوك الاجتماعي، أيوب: ص123.

[2] الأحكام السلطانية، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت: 450هـ)، دار الحديث، القاهرة، د. ط، د.ت، 366/1؛ أحكام الجاسوس، الجميلي: ص12-13.

جندي مخلص يكون في موضع الرعاية والاحترام بنظر الشريعة الإسلامية، والتقصير في هذا الأمر كان دائماً يوقع المسلمين في مشاكل حربية وأمنية[1].

التجسس في عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

أدرك الرسول (صلى الله عليه وآله) أهمية العيون في معرفة أخبار عدوه وتصفح أحوالهم لما لهم من دور في تأمين قوة المسلمين قبل الدخول في المعركة تحقيق النصر على أعدائه بعد ذلك ففي معركة أُحد، أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرسل العيون ليرصدوا تحركات قريش فأرسل له عينين له: هما أنسا ومؤنسا ابني فضالة ليلة الخميس فاعترضا لقريش بالعقيق[2] فسارا معهم حتى نزلوا بالوطاء فأتيا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبراه أن جيش المشركين قد وصل بالقرب من المدينة وأنهم قد ضلوا إبلهم في الزرع الذي (بالعريض) [3] حتى تركوا مقاعاً بلقعا[4].

وفي غزوة الخندق بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) حذيفة بن اليمان ليلاً يخبر الأحزاب وقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((يا حذيفة أذهب فأدخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتينا، فذهب ودخل فلما قال أبو سفيان وقتها: يا معشر قريش: أحذروا الجواسيس والعيون ولينظر كل رجل جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد رجل الذي كان جنبي فقلت: من أنت؟، قال: فلان بن فلان[5].

---

[1] أحكام الجاسوس، الجميلي: ص13.

[2] العقيق: وادي قرب المدينة، وهو أخصب واد هناك؛ ينظر: مشارق الأنوار، القاضي عياض، دار التراث، القاهرة، ط1، 1333هـ: 115/1.

[3] العريض: وهو وادي بالمدينة؛ السيرة النبوية، ابن هشام: 57/2.

[4] صحيح مسلم: 1414/3؛ المغازي، الواقدي: 206/1-207.

[5] المغازي، الواقدي: 489/2.

وتعد هذه العملية تمويه جيد للعدو، وتدل على سرعة البديهية والقدرة على الخداع[1].

هناك دوافع للتجسس وهي كالآتي:

1-الفضول المحض: قد يكون الدافع إلى التجسس وتتبع عورات الناس هو الفضول المحض وحب الاستطلاع ومعرفة ما خفي وتستر.

2- قصد الإيذاء والفضيحة: فيتجسس على الشخص لكي يؤذيه أو يفضحه، لغرض في نفسه، قد يكون دافعه في نفسه، قد يكون دافعه الحسد، أو الكراهية، أو غير ذلك من الأمور.

3-سوء الظن: فالتجسس هو أثر من آثار سوء الظن، فإذا ظن شخص بشخص سوءاً دفعه ذلك إلى التحقق من ظنه فيعمد إلى التجسس وتتبع العورات.

4-الانتقام والمعاملة بالمثل: وذلك إذا علم المتجسس عليه أن شخصاً ما يتتبع عورته ويتجسس على خصوصياته، فعند ذلك يدفعه الانتقام إلى التجسس والبحث والتقصي وخاصة إذا تسبب المتجسس في أذيته وفضحه.

5- أن يكون مدفوعاً من جهة ما للتجسس، نظير تحصيل مال أو غيره[2].

آثار التجسس على الفرد والمجتمع:

---

[1] التنظيمات العسكرية في عصر النبوة والخلافة الراشدة، اللهيبي، محمود تركي فارس، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 1995: ص135-136.

[2] موسوعة الأخلاق، أسباب التجسس الممنوع، موقع الدرر السنية www.dorar.com.

إن التجسس مظهر من مظاهر سوء الظن، وأثر من آثاره، فهو متولد عن صفة مذمومة سيئة نهى عنها الدين الحنيف وذلك لأن الظن يبعث عليه الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنه سراً فيسلك مسلك طريق التجسس[1].

وهو سبيل إلى قطع الصلات وتقويض العلاقات وظهور العداء بين الأحبة وبث الفرقة بين الأخوان فقد يرى المتجسس من المتجسس عليه ما يسوءه فتنشأ عنه العداوة والحقد ويدخل صدره الحرج والتخوف بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة وذلك من نكد العيش[2]، والتجسس صورة من صور ضعف الإيمان وضعف التدين وقلة المراقبة هذا على الجانب الديني أما الأخلاقي والسلوكي فهو يدل على دناءة النفس وضعف همتها وانشغالها بالتافه من الأمور عن معاليها وغايتها.

والتجسس يؤدي إلى فساد الحياة فتصبح مليئة بالشكوك والتخوفات، فلا يأمن الإنسان على خصوصياته من أن تنكشف أو تظهر للناس، بل يعيش المرء في حالة من الشك الذي لا ينتهي[3]، وهذا تصديق لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم)) [4].

كما أنه سبيل إلى إشاعة الفاحشة بين المسلمين وانتشار السوء بينهم، وذلك بما يحصل من نشر لما استتر من الفضائح وإظهار لما خفي من السوءات وهو دليل واضح على سوء الطوية وعن نفاق يعشش في القلب وأن صاحبه بعيد عن الإيمان وإن إدعاه

---

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور: 253/26.

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور: 254/26.

[3] الموسوعة الأخلاقية، موقع الدرر السنية www.dorar.com.

[4] المعجم الكبير، الطبراني: 272/4.

قصي عن التقوى وإن تزين بلباسها لذا كان نداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمن هذه صفته[1] بقوله: ((يا معشر من من بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه...)) [2].

وفي مكنتنا أن نقف عند هذا الخلق العظيم الذي سطره الإمام الصادق (عليه السلام) حين نهى عن التفتيش عن مذاهب الناس وأديانهما فيقول: (لا تفتش الناس عن أديانهم فتبقى بلا صديق)[3].

ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم، آمنين على عوراتهم، ولا يوجد مبرر مهما يكن – لانتهاك حرمات الأنفس والبيوت والأسرار والعورات، حتى ذريعة تتبع الجريمة وتحقيقها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسس على الناس، فالناس على ظواهرهم وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما يظهر منهم من مخالفات وجرائم، وليس لأحد أن يظن أو يتوقع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما، فيتجسس عليهم ليضبطهم، وعلى ماله عليهم أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانكشافها مع الضمانات الأخرى التي ينص عليه بالنسبة لكل جريمة[4].

وقد أثبت العلماء أن عادة التجسس لها مساوئ نفسية كثيرة مثل القلق والخوف والتفكير السلبي، وأن هناك أنواعاً للتجسس منها التجسس الإلكتروني، إذ تقوم بعض المنظمات والجماعات بالتجسس على الأشخاص أو الدول أو المنظمات أو الهيئات أو المؤسسات الدولية أو الوطنية، ويتميز التجسس الإلكتروني بالطريقة العصرية المتمثلة

---

[1] الموسوعة الأخلاقية، موقع الدرر السنية www.dorar.com.

[2] المسند، أحمد: 420/4.

[3] بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٥٣ / ١٠٩.

[4] في ظلال القرآن، سيد قطب: 3346/6.

في استخدام الموارد المعلوماتية والأنظمة الإلكترونية التي جلبتها حضارة التقنية في عصر المعلومات وتستهدف عمليات التجسس في عصر المعلومات ثلاثة أهداف رئيسية وهي: التجسس العسكري والتجسس السياسي والتجسس الاقتصادي.

وفي عصر المعلومات ومع وجود وسائل التقنية الحديثة فإن حدود الدولة مستباحة بأقمار التجسس والبث الفضائي وقد تحولت وسائل التجسس من الطرق التقليدية إلى الطرق الإلكترونية خاصة مع ظهور الشبكات المعلوماتية وانتشارها عالمياً ومع توسع التجارة الإلكترونية عبر الشبكة العالمية تحولت مصادر المعلومات التجارية إلى أهداف للتجسس الاقتصادي[1].

وشخصية الجاسوس نجد أنه يختلف من موقف إلى آخر ومن فرد إلى آخر، إذ أن هناك فروقاً فردية بين الأفراد من حيث القدرات الجسمية والعقلية والميول واختلافاً في التصورات والاتجاهات والدوافع[2].

وهناك اختلاف في الهدف الذي من أجله يقوم الشخص بالتجسس فالأشخاص الذين يتجسسون على وطنهم للعدو، منافقون منحرفون يتصفون بالطمع والجشع والأنانية، وهؤلاء جبناء لا يستطيعون أن يظهروا الحقيقة وهم انتهازيون يتحينون الفرص بالمسلمين ويتمنون لهم السوء والهلاك وخطرهم كبير في هدم المجتمع[3].

---

[1] الإرهاب الإلكتروني في عصر المعلومات، عبد الله بن عبد العزيز بن فهد العجلان، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول، المنعقد في القاهرة، (4/2/ يونيو 2008): ص12.

[2] الدوافع النفسية، د. مصطفى فهمي، د.ت، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، القاهرة: ص37.

[3] المجلة العسكرية الأردنية، عدد (43)، سنة (1965م): ص65؛ وينظر: التجسس وأحكامه، محمد الدغمي: ص87.

والأشخاص الذين يتجسسون رغبة في التجسس وحباً في المغامرة لإظهار الشجاعة والجرأة، أو إرضاءً لما يكمن في نفوسهم داخلياً من حب الاعتداء، والرغبة في الأضرار فهم مصابون بمرض حب النفس، والعدوان، اكتسبوه في ظل البيئة التي يعيشون فيها، نتيجة للسلسلة الطويلة للسلوك الإحباطي والقمعي الذي يتعرضون له في المجتمع[1].

ومثل هؤلاء ليس لهم اتجاه سليم أو تصور واضح أو انتماء معروف ولابد أن هؤلاء غير ناضجين اجتماعياً ولا يقدم على مثل هذا العمل إلا من كانت صفة المغامرة صفة أصيلة فيه واستجابته العدوانية ظاهرة في شخصيته[2].

أما عقوبة الجاسوس في القانون فهي:

أ- القانون العراقي: نصت المادة (177) من قانون العقوبات العراقي على ما يأتي: يعاقب بالسجن المؤبد:

1- كل من حصل بأي وسيلة على شيء يعد من أسرار الدفاع عن البلاد بقصد إتلافه لمصلحة دولة أجنبية أو إفشائه لها أو لأحد ممن يعملون لمصلحتها.

2- كل من سلَّم أو أفشى سراً من أسرار الدفاع عن البلاد إلى دولة أجنبية أو إلى أحد ممن يعملون لمصلحتها.

---

[1] ينظر: الدوافع النفسية، د. مصطفى فهمي: ص1247؛ وينظر: التجسس وأحكامه، الدغمي: ص87.

[2] الدوافع النفسية، فهمي: ص87؛ وينظر: التجسس وأحكامه، الدغمي: ص87-88؛ وينظر: الحرب النفسية: صلاح نصر: 79/1.

3- كل من أتلف لمصلحة دولة أجنبية وثائق أو أشياء أخرى تعد من أسرار الدفاع عن البلاد أو جعله غير صالح لأن ينتفع به[1].

وتكون عقوبة الإعدام إذا كان الجاني مكلفاً بخدمة عامة أو إذا ارتكبت الجريمة في زمن الحرب أو كانت الدولة الأجنبية معادية[2].

ب- أما القانون الفرنسي وهو من أقدم القوانين الأوربية في العالم وأكثر الدول الغربية بل حتى العربية تستمد قوانينها منه نص على ما يأتي:

فقد نصت المادة (76/75) من قانون العقوبات الفرنسي لسنة (1939م) يحكم بالإعدام كل من: يكون متلبساً بالتجسس ومعاقباً بالموت كل أجنبي يرتكب أحد الأفعال الآتية:

- تسليم سر من أسرار الدفاع الوطني إلى قوة أجنبية و ممن يعملون لمصلحتها بأية صنيعة أو واسطة كانت أو من في نيته تسليم هذا السر[3].

2- دس الدسائس مع قوة أجنبية بغية ودفعها لاتخاذ مواقف عدائية تجاه فرنسا أو تقديم الوسائل لها أو تسهيل عملية دخول القوات الأجنبية البرية والبحرية والجوية إلى الأراضي الفرنسية.

3- تحريض الجنود أو البحارة في وقت الحرب في خدمة قوة أجنبية أو تسهيل الوسائل المؤدية إلى ذلك أو تجنيد جنود لحساب قوة أجنبية في حالة حرب مع فرنسا...الخ[1].

---

[1] أحكام الجاسوس، الجميلي: ص47-48.

[2] المعجم في الجرائم الماسة بأمن الدولة الخارجي، د. سعد إبراهيم الأعظمي، بغداد، د.ت: ص120.

[3] أحكام الجاسوس في الشريعة والقانون، الجميلي: ص54؛ وينظر: جرائم التجسس في التشريع العراقي د. سعد إبراهيم الأعظمي، بغداد، ط1، 1981م: ص83-84.

أما علاج التجسس فيكون كالآتي:

1- أن يراقب الله تعالى قبل كل شيء ويخشى أليم عقابه وقوة انتقامه الذي أعده للمتجسسين على عورات الناس فإن في ذلك زاجراً له[2].

2- أن يترك الإنسان فضوله وحبه للتفتيش والاستطلاع على الآخرين وذلك بأن يشغل نفسه بما يهمه في دنياه وآخراه، ويعلق نفسه بمعالي الأمور ويبعدها عن سفاسفها ويعمل بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) [3].

3- أن ينمي في نفسه الحرص على وحدة المسلمين فإن هذا يجعله يبتعد عن كل ما يكون سبباً في تهديد هذه الوحدة والترابط سواء كان ذلك السبب هو التجسس أو غيره من الأخلاق السيئة.

4- أن يتدبر الشخص في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وآثار السلف التي تحذر من هذه الصفة فإن في ذلك رادع قوي وعلاج ناجع[4].

---

[1] أحكام الجاسوس، الجميلي: ص54.

[2] الموسوعة الأخلاقية، موقع الدرر السنية www.dorar.com.

[3] السنن، ابن حبان: 466/1، المعجم الأوسط، الطبراني: 188/3.

[4] سورة الحجرات، الآية: 12.

المبحث الرابع
الغيبة

يقول الحق تعالى في محكم تنزيله الكريم:(... وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)[1].

قال الزركشي: ((جمعت هذه الآية أوصافاً وتصويراً لما يناله المغتاب من عرض من يغتابه على أفضع وجه وفي ذلك محاسن كالاستفهام الذي معناه التقريع والتوبيخ وجعل ما هو في الغاية في الكراهة موصولاً بالمحبة وإسناد الفعل إلى ((أحدكم)) وفيه إشعار بأن أحداً لا يحب ذلك ولم يقتصر على تمثيل الاعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخاً ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتاً وهذه مبالغات عظيمة ومنها أن المغتاب غائب وهو لا يقدر على الدفع لما قيل فيه فهو كالميت))[2].

وقد صور القرآن الكريم المغتاب بصورة وحش انقض على أخيه الإنسان بعد موته فأخذ يلتهم جثته وينهش لحمه ويمزق أوصاله، وهو تصوير يكرهه الإنسان وينفر منه[3].

والغيبة لغةً: الوقيعة في الناس لأنها لا تقال إلا في غيبة، يقال: اغتبا اغتياباً إذا وقع فيه وذكره بما يكره من العيوب وهو حق، والاسم الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب، وغابه: عابه وذكره بما فيه من السوء كاغتيابه[1].

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 12.

[2] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، د. ط، 1957م: 2/ 249-250.

[3] السلوك الاجتماعي في الإسلام، أيوب: ص138.

والغيبة في الاصطلاح: هي ذكر العيب بظهر الغيب[2]، وقيل الغيبة: أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب من غير أن يحوج إلى ذكره[3].

إن الغيبة كما فسرها النبي (صلى الله عليه وآله) في الحديث الصحيح لما سئل عن الغيبة فقال: ((هي ذكر أخاك بما يكره، قيل يا رسول الله: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)) [4].

فالغيبة كما بينها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو أن تذكر أخاك بما يكرهه إن بلغه أو سمعه وإن كنت صادقاً سواء ذكرت نقصاناً في نفسه أو عقله أو ثوبه أو فعله أو في قوله أو في دينه، أو في داره، أو في دابته أو في ولده، أو في عبده أو في أمته[5] أو في مشيته وحركته وبشاشته وخلاعته، وعبوسه وأخلاقه وغير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو كتابك ورمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك[6] أو كتابة في صحف أو على الانترنت أو أي شيء يفهم منه تنقص الطرف الآخر فكل ذلك داخل في الغيبة[7].

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، 403/4؛ المصباح المنير، الفيومي، 457/2.

(2) النكت والعيون، الماوردي، ج5: ص334؛ فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 469/10.

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبي القاسم بن محمد ابن الراغب الاصفهاني (ت 502هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1980م: ص182.

(4) صحيح مسلم، مسلم، ج8: ص21.

(5) بحر الدموع، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: جمال محمود مصطفى، ط1، دار الفجر للتراث، لبنان، 2004هـ، ج1: ص134.

(6) الأذكار، للنووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، ط1؛ دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 2004م، ج1: ص535.

(7) حرمة المسلم على المسلم، د. ماهر ياسين الفحل، بغداد، 2006، ج1: ص2.

فتعال عزيزي القارئ ولنستمع إلى الحسين (ع) مما روي من كلماته، لنعالج بعض ما نعيشه في حياتنا في أكثر من سلبيَّة من سلبيَّات الواقع .

قال الحسين (ع) لرجلٍ اغتاب عنده رجلاً – وكم يغتاب النّاس عندنا النَّاس – قال له: "إيّاك والغيبة، فإنَّها إدام كلاب أهل النَّار". إنَّ الغيبة تدخلك نار جهنَّم، فالَّذين يغتابون النَّاس، يقتاتون في جهنَّم من نتائج الغيبة في عذاباتها. وقد عبَّر عن أصحاب النَّار بكلمة "كلاب أهل النَّار"، أي أنَّ الَّذي يغتاب النَّاس، يتحوَّل إلى كلبٍ من كلابِ النَّار، وطعامه هو الغيبة في معناها. ونحن نعرف كيف قرَّب الله لنا الغيبة في طعامها: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ}[الحجرات: 12]، أن تغتاب أخاك، فكأنَّك تأكل لحمه وهو حيّ .

ونحن عندما نجلس في مجالس عاشوراء، ما أكثر ما نغتاب النَّاس! وما أكثر ما نظهر العيوب المستورة! وما أكثر ما نتحرَّك به من تهشيم النَّاس في كراماتهم في الواقع الاجتماعي أو في الدائرة الدينيّة! إنَّ مسألة الغيبة ليست شيئاً يتَّصل بنفسيَّة الذي يغتاب، ولكنَّ تأثيراتها هي في أنها تربك الواقع الاجتماعي وتسيء إلى كرامات النَّاس وتفضح أسرارهم .

وفي كلمة أخرى يقول: "إذا سمعت أحداً يتناول أعراض النَّاس – يعني إذا كان هناك في المجتمع شخص يتناول كرامات الناس، بحيث يذمّ هذا، ويهتك حرمة ذاك، ويفشي سرّ آخر... – فاجتهد أن لا يعرفك"، أي اجتهد أن لا تكون بينك وبينه علاقة، عبّر عن رفضك له بأن لا تنشىء بينك وبينه أيّ صداقة، لأنَّ على الإنسان إنكار المنكر بالوسيلة التي يشعر فيها فاعل المنكر بأنَّه مرفوض من المجتمع .

وفي كلمةٍ قالها لولده عليّ بن الحسين (ع)، "أي بنيَّ، إيَّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلَّا الله". فالإنسان يمكن له أن يظلم شخصاً قوياً، ممّن يستطيع أن يدفع ظلمه، كمن له عندك مال وتنكر عليه ماله، ولكن هذا يستطيع ردّ ماله بطريقة معيَّنة، ولكن هناك من لا يجد ناصراً إلَّا الله، كالأزواج الذين يظلمون زوجاتهم، فمجتمعنا لا يزال مجتمع الرَّجل، فقد يضغط على المرأة لتسامحه وتتنازل عن مهرها، أو يضغط عليها ليمنعها من أن تعبِّر عن إنسانيَّتها... وهكذا يوجد الكثير من الأشخاص الذين ينظرون إلى المرأة كخادمة في البيت، وممّن يمنعون الزوجة من زيارة أهلها، أو من رعاية أمّها وأبيها، أو أن تقوم بالشّؤون الإنسانيَّة، وقد يقول هذا حقّي بحجَّة أنه لا يجوز للمرأة أن تخرج من البيت إلَّا بإذن زوجها. ولكنَّ الله عندما أعطاك بعض الحقّ، أراد لك أن لا تتعسَّف في استعماله، أراد لك أن تكون إنساناً لا وحشاً. ولقد قلت لكثيرٍ من الرجال إنَّه لو جعل الله للمرأة أن تمنع زوجها مما يمنعها منه، فهل يقبل؟ عامل النَّاس بما تحبّ أن يعاملوك به. عندما يكون للإنسان حقّ، فعليه أن يستعمل حقه بإنسانيته، فعلى الإنسان أن لا يخرج عن إنسانيَّته في هذا المجال، ولقد قلنا مراراً إنّ الحياة الزوجيَّة لا تقوم على أساس أن يقف الرّجل ليقول لزوجته إنّ المادة الفلانيّة تحكمك {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}[الروم: 21]، فما يحكم الزوجين هو المودّة والرحمة .

فالزوج الذي يجبر زوجته على أن تتنازل له عمّا هو حقّ لها، تبقى ذمّته – شرعاً – مشغولة، وقد يكون هناك عنوان الغصب. وكذلك عندما نظلم أبناءنا، أو عندما يظلم الأستاذ التلميذ، أو في أيّ مجالٍ نُنفِّس فيه عن الاحتقان الموجود في أنفسنا بالضّعفاء، لأنَّ ظلم الضّعيف أفحش الظّلم، وهناك شعر يقول :

تنامُ عينكَ والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنمِ

وما من يدٍ إلَّا يذُ الله فوقها ولا ظالمٌ إلّا سيبلى بأظلمِ

ومن أشد أنواع الغيبة الخوض في أعراض العلماء فعلماء المسلمين لهم احترامهم ومكانتهم وينبغي التعامل معهم بكل ادب واحترام[1].

قال ابن عساكر: ((إن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وإن من اطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب))[2].

فالطعن في أهل العلم والانتقاص منهم غير جائز شرعاً ولا يحق لأحد مهما كان أن يتناول بلسانه وإن صدرت عنهم آراء مجانبة للحق والصواب فالخطأ قد لا ينقص من منزلة العالم عند الله ولا يحل لنا دمه ولا عرضه وكل يؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم (صلى الله عليه وآله) [3].

فلا يسلم عالم من خطأ، ومن أخطأ لا يتابع على خطئه ولا يتخذ ذلك الخطأ ذريعة إلى غيبته والتحذير منه، بل يفتقر خطأه القليل في صوابه الكثير، ومن كان من هؤلاء العلماء قد مضى فيستفاد من علمه مع الحذر من متابعته على الخطأ، ويدعى له

---

[1] لحوم البشر أشهى مأكولات العصر، عبد الرحمن جمال المراكبي، ط1، دار ابن الجوزي، مصر، 2009م: ص20.

[2] تبيين كذب المفتري فيما نسب للامام ابي الحسن الأشعري، ابن عساكر، أبي القاسم علي بن هبة الله الدمشقي (ت 571هـ)، تحقيق: زاهد الكوثري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ: ص29.

[3] لحوم البشر أشهى مأكولات العصر، المراكبي: ص20.

ويترحم عليه، ومن كان حياً سواء كان عالماً أو طالب علم ينبه على خطأه برفق ولين ومحبة لسلامته من الخطأ ورجوعه إلى الصواب[1].

من هذا العرض يتبين لنا، المكانة العظيمة والدرجة العالية التي يتمتع بها علماء الأمة ومن هنا وجب ن يوفيهم الناس حقهم من التعظيم والتقدير والإجلال وحفظ الكرامات والنيل من العلماء وإيذاؤهم يعد إعراضاً وتقصيراً في تعظيم شعيرة من شعائر الله.

أما ما يباح من الغيبة فقد ذكر العلماء أن هناك ستة أمور للوصول إليها منها:

1- التظلم: يجوز لمن ظلم أن يشكو ظالمه إلى القاضي ويذكر له ما فيه من عيوب فلا يعد ذلك غيبة[2].

2- الاستعانة على تغيير المنكر: ويجوز لمن يريد لأن يغير منكراً ذكر ذلك المنكر القادر على تغيره وهذا لا يعد غيبة، ويجوز ذكر ما في الولاة والقضاة من شر أو إثم للقادر على عزلهم وتغييرهم ولا يعد ذلك من الغيبة لما فيه من صلاح للأمة ودرء للمفسدة وجلب للمصلحة[3].

3- الاستفتاء: وذلك بأن تقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو عمي أو جاري أو صهري... الخ، وفعل كذا وكذا فماذا يحل لي أن أفعل معه وماذا يحرم علي؟ فهذا جائز للحاجة والأحوط أن تقول ما حكم الشرع فيمن فعل أبوه معه كذا أو فعلت

---

[1] رفقاً أهل السنة بأهل السنة، عبد الرحمن بن محمد البدر، ط2، الرياض، 1426هـ: ص38.

[2] رياض الصالحين، أبي يحيى بن شرف النووي الدمشقي (631-1676هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقان، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1989م، 182/2.

[3] الأهداف العامة في سورة الحجرات، فحلة: ص294.

زوجته كذا؟ بدون ذكر ما يعين الشخص إذا كان الغرض يحصل بدون تعيين ومع ذلك فالتعيين جائز كحديث هند زوج أبي سفيان وقد سبق فإن سؤالها كما يصلح أن يكون تظلماً فهو يصلح أن يكون استفتاء والفرق بينهما أن التظلم يكون لمن يقدر على الحكم وتنفيذه وأما الاستفتاء فيكون لمن يفتيك فقط ولا يقدر على التنفيذ[1].

4- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم: وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إبداعه أو معاملته أو غير ذلك أو مجاورته ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة[2].

عن فاطمة بنت قيس، قالت: أتيت النبي (صلى الله عليه وآله)، فقلت: أن أبا الجهم ومعاوية خطباني فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((أما معاوية فعائل لا مال له، وأما أبو الجهم فإنه رجل لا يضع العصا عن عاتقه))[3].

5- أن يكون مجاهراً بفسقه وبدعته كالمجاهر بشرب الخمر حتى في رمضان ويقدمه للضيوف وكمن يصادر أموال الناس ظلماً، أو يسفك الدماء ظلماً أو يحارب المؤمنين ويطاردهم ويقدم الكافرين ويساعدهم ولكن إذا ذكرنا عيبه يجب أن لا نزيد عن العيب والذنب والفجور الذي يعلن به.

6- التعريف بإنسان إذا كان هذا الإنسان معروفاً عند الناس باسم أو لقب أو وصف معين بحيث لا يعرف إلا به فنقول جاء الأعمى وحضر الأعرج والأحول وغير ذلك

---

[1] السلوك الاجتماعي، أيوب: ص146.

[2] رياض الصالحين، النووي: ص450-451.

[3] المسند، أحمد، 413/6.

بشرط ألا تقصد تنقيصهم بما تقول وإلا حرم ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى[1].

أما الأسباب الباعثة على الغيبة فهي:

1- الحسد وخاصة لإنسان يحمده الناس ويثنون عليه[2].

2-الكبر واستحقار الآخرين لأنه يثقل عليه أن يرتفع عليه غيره فيقدح بهم في المجالس، لإلصاق العيب بهم[3].

3- الحقد والغضب بأن يشفي غيظه.

4- إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره[4].

5-المجاملة والمداهنة على حساب الدين فيجد الرجل يغتاب أخاه، موافقة لجلسائه وأصحابه[5].

6-التقرب لدى أصحاب الأعمال والمسؤولين عن طريق ذم العاملين معه ليرتقي لمنصب أفضل أو لقال عنه مواضب[6].

7-جهل المغتاب بحكم الغيبة وعواقبها الوخيمة والسيئة، التي تورث غضب الله وسخطه[1].

---

[1] تفسير المراغي، المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط1، الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1946، 141/26؛ السلوك الاجتماعي: ص148.

[2] الأهداف العامة، فحلة: ص292.

[3] حرمة المسلم على المسلم، الفحل، 6/1.

[4] الغيبة، لابن تيمية، تحقيق: منير السيد، ط1، مكتبة الايمان، الاسكندرية، د.ت: ص9.

[5] حرمة المسلم على المسلم، الفحل، 6/1.

[6] حصائد الألسن، حسين العوايشة: ص85.

8- كثرة الفراغ، والشعور بالملل والسأم، فيشتغل بالناس وأعراضهم وعيوبهم[2].

وإن كفارة الغيبة قال جمهور من العلماء: طريق المغتاب للناس في تربيته أن يقلع عن ذلك ويعزم على ألا يعود وأن يندم على فعلها وأن يتحلل من الذي اغتابه، وقال آخرون: لا يشرط أن يتحلله فإنه إذا علم بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه[3].

فطريقه إذن أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته فتكون تلك بتلك[4].

والدليل على ذلك ما روي عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): ((كفارة من اغتبته أن تستغفر له)) [5].

آثار الغيبة على الفرد والمجتمع:

والغيبة خلق ذميم يمقته الشرع كل المقت ويبغضه العقل الناضج، والعرف السليم ويأباه المجتمع النظيف وهو وباء اجتماعي خطير وشر مستطير يفتك الأمة ويبث العداوة والبغضاء بين أفرادها[6].

وهو مرض عضال، كم أحدث من فتنة وكم أثار من ضغينة وكم فرق بين أحبة وشتت بيوتاً[1].

---

[1] موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنية www.dorar.com.

[2] الأخلاق الإسلامية، حبنكة الميداني، 231/2.

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج7: ص384.

[4] الأهداف العامة في سورة الحجرات، فحلة: ص292.

[5] إحياء علوم الدين، الغزالي، ج3: ص150.

[6] السلوك الاجتماعي، حسن أيوب: ص140.

وقد حرص الإسلام على استقرار المجتمع الإسلامي وخلوه من المنازعات والمشاحنات وحمايته من أسباب الفرقة والتمزق حتى يكون مجتمعاً ضعيفاً هزيلاً منهاراً غير صامد أمام الأعداء فإن قوة المجتمع سبب لقوة الأمة وعزتها وضعف المجتمع سبب لمذلة الأمة وهوانها وما أتعس الأمة التي تسمح لفتح ثغرات الهوان في صفوفها، وما أسعد الأمة التي تشيع الأخلاق الحميدة فيما بينها[2].

ومن أخطر المنافذ التي تزرع الضغينة والحقد والقطيعة والهجران بين أفرادها الطعن في الأعراض والكرامات، والمغتاب يؤذي أخاه في عرضه[3].

والإسلام يدعو اتباعه أن يقاوموا انتهاك الحرمات وأن يدفعوا عن أعراض أخوانهم المسلمين ولهم عند الله مثوبة كبيرة وجزاء وافر وحسبهم أن يرد الله عنهم عذاب يوم القيامة[4]، قال الرسول (صلى الله عليه وآله): ((من رد عن عرض أخيه رد عن وجهه النار يوم القيامة)) [5].

إن الجماعة المسلمة وحدة واحدة في نظر الإسلام وواجبهم أن يشعر كل منهم بشعور أخيه وأن يحس بإحساسه وأن ينصره ولا يخذله، وأن يكون معه لا عليه، وألا

---

[1] حرمة المسلم على المسلم، الفحل، ج1: ص6.

[2] أخلاق المسلم علاقته بالمجتمع، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، د.ت: ص96.

[3] السلوك الاجتماعي، حسن أيوب: ص138.

[4] الإسلام وبناء الشخصية، د. أحمد عمر هاشم، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1997: ص173.

[5] المسند، أحمد، 450/6؛ المعجم الكبير، الطبراني، 176/24.

يذكر المسلم أخاه إلا بالخير فإن رابطة الإسلام أعلى الروابط وأزكاها ولأخوة الإسلام حقوقها التي شرعها رب العزة سبحانه وتعالى[1].

ومع اتساع دائرة التفاعل والتأثير لمستخدمي وسائل الاتصال الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي فلم تعد الغيبة والحديث عن أحوال وأعراض الناس حبيسة المجالس الخاصة إذ تحولت إلى أحاديث عامة وشاملة وليس هناك أسرع وأسهل من انتشارها في فضاءات مفتوحة يشارك في قراءتها وتداولها وحتى التعليق عليها مئات الأشخاص[2].

وإن من يتابع مواقع التواصل الاجتماعي لا يخفى عليه انتشار ظاهرة انتهاك أعراض الناس وحرماتهم بالكلام السيء واللفظ القبيح وبنشر ما يقال عنهم وتداوله.

فضلاً عن أن مواد الغيبة الإلكترونية تبقى موثقة ومحفوظة في شبكات الانترنت ومواقعها عبر الزمن وتظل سلبياتها تلاحق الشخص وربما أسرته وأبناؤه حتى بعد وفاته.

وهنا إذا كان المغتاب آثماً فإن إثمه يعظم ويكبر بقدر انتشار غيبته بين الناس[3].

وعلاج الغيبة كغيرها من المساوئ الخلقية يكون بادئ ذي بدء بالمحاسبة النفسية الذاتية وهذا يأتي عن طريق:

---

[1] الإسلام وبناء الشخصية، هاشم: ص173.

[2] الغيبة الإلكترونية كل شيء موثق، نورة العطوي، جريدة الرياض، (26/مارس/2015م)، العدد 17076.

[3] ينظر: الغيبة الإلكترونية، د. إبراهيم الزهراني، جريدة الرياض، (26/مارس/2015م)، العدد 17076: ص2.

1- ينبغي معرفة ما يترتب على الغيبة من عقوبات إلهية فهي تحبط العمل الصالح وتدني الإنسان الذي اغتاب غيره من النار لأن الله غير راضٍ عليه وما على المؤمن إلا أن يتدبر في نفسه ليشغلها بما فيها من عيوب[1].

2- استبدال الغيبة في الأحاديث الممتعة والنوادر الشيقة والقصص الهادفة[2].

3- ترويض النفس على صون اللسان وكفه عن بوادر الغيبة وقوارصها وبذلك تخف نوازع الغيبة.

4- اختيار الصحبة الصالحة التي تقرب إلى الله وتبعد عن المعاصي، والابتعاد عن رفقاء السوء.

5- كظم الغيض والصبر على الغضب، كي لا يكونان دافعاً للغيبة.

6- قناعة الإنسان بما رزقه الله، وشكره على هذه النعم، وأن يعلم أن ما عند الله خير وأبقى[3].

---

[1] الأهداف العامة، فحلة: ص296.

[2] نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين، 5164/11.

[3] نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين، 5164/11.

المبحث الخامس
النفاق

النفاق لغة: يقال: نافق، ينافق، منافقة، ونفاقا وهو مأخوذ من نافقاء أحد حجر اليربوع إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه.

وقيل: هو النفق وهو السرب الذي يستتر فيه، لستره وكفره[1].

النفاق اصطلاحًا: هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفًا، وعلى هذا الأساس تظهر العلاقة بين الأصل اللغوي وبين المفهوم الاصطلاحي؛ إذ أن المنافق على صلة دائمة بطريقتين للخروج لا يرسخ قدمه في الإيمان ولا يثبت عليه وإن طريقه الحقيقي هو الكفر لكنه بإعلانه الإسلام يدفع الخطر عن نفسه[2].

جاء في شرح رسالة الحقوق: وترى فريقا ثالثا وهو شر من الفريق الثاني- المشرك- يشترك معه في خبث النفس وفساد الطوية والحنق على ذلك المصلح، ويمتاز عنه بالجبن والخور وضعف القلب، فلا يستطيع أن يصارح المصلح بأنه عدوه اللدود، ولا أن يظهر أمام المؤمنين بذلك المظهر، فيضطره ضعف عقيدته وفقدانه للجرأة أن يداري ويوارب، فيكون بين الصديق والعدو، والمناصر والمحارب، إذا رأى المؤمنين أظهر لهم الإيمان، وإذا لقي الكافرين قال لهم: إني معكم.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، 359/10.

[2] العين، الفراهيدي، عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 175هـ)، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2005م: ص978؛ المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت 770هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ، 618/2.

ومثله في ذلك مثل حيوان خبيث (وهو الضب)، يعمل له جحرا في الأرض يسمى النافقاء. له بابان، إذا أراد صائده أن يدخل إليه من أحد البابين لوح له بذنبه أنه مقبل عليه ليطعمه، ثم يخرج من الباب الآخر، يخدعه بذلك العمل.

وهكذا المنافق، واشتقاقه من النافقاء، وهو ذلك الجحر الذي يعمله الضب. أو هو إحدى جحرة اليربوع التي يعملها في الأرض ظاهرة يراها الناس، حتى إذا ذهبوا إليها ليطلبوه، إذا به قد أعد جحرا آخر قد أخفاه عن الناس ليكون فيه.

ذلك هو المنافق الذي يخادع الناس ويخادع المصلحين في كل زمان، وهذا مثله في خداعه ونفاقه[1].

خصائص المنافقين وأبرز خصالهم

يرينا الله تعالى في كتابه الكريم - وهو العالم بخفايا النفوس وما تكنه الضمائر – أن للمنافقين خصائص وأخلاقا بها يمتازون عن غيرهم ثم أرانا أن العلة في تلك الأخلاق هي مرض القلب، واضطراب العقيدة، ولو كان قلبهم سليما من المرض ما كانوا على ذلك الخلق.

(الأولى) من صفاتهم أنهم يعاملون الله معاملة المخادع، لا معاملة المخلص، وما دروا أنهم بذلك العمل يخدعون أنفسهم، وأن وبال خداعهم راجع إليهم، ولو قدروا الله حق قدره ما عاملوه تلك المعاملة، (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) ولو كان عندهم شئ من العقل لاستحوا من ذلك العمل، فإن الرجل العاقل يستنكف أن يخادع مخلوقا مثله إذا كان يعلم أن عنده من اليقظة والعلم ما به ينكشف خداع صاحبه، فكيف إذا كان ذلك الذي يعامله إلها له العلم الشامل

[1] شرح رسالة الحقوق – الإمام زين العابدين (ع): ص ١٧٢.

والهيمنة على النفوس ومن آثار خداعهم لله أنهم يصلون بأجسامهم لا بقلوبهم، فهم يصلون صلاة رياء لا صلاة إخلاص (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا). وكأنه يشير بكلمة (إذا) الدالة على التعليق إلى أن الشأن فيهم أن لا يصلوا، ولو فرض أنهم قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، فلم يأخذوا التكاليف بقوة، كما هو الشأن فيمن يعمل العمل وهو مقتنع بأنه نافع مفيد، بل يؤدونها كارهين متثاقلين، لأنهم يراءون الناس بصلاتهم، ولا يبتغون بها وجه الله، ومن كان كذلك لا يقوم إلى صلاته بجد ونشاط.

(الثانية): من صفات المنافقين الذبذبة والاضطراب بين حزب المؤمنين وحزب الكافرين، فلا يستطيعون أن يكونوا مع أحد الفريقين ظاهرا وباطنا، فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم ورؤس الكفر منهم قالوا لهم إنا معكم، وما أظهرنا الإيمان مع الحزب الأول إلا تهكما بهم، وقد بين الله علة ذلك النفاق وهذه الذبذبة بقوله:(في قلوبهم مرض) ومن مرض قلبه، مرض كل شئ فيه، شفان القلب هو رئيس الجوارح، والمهيمن على الإنسان كله، وبفساد الرئيس يفسد المرؤوس، وذلك المرض لا يشركهم فيه كافر وإن كان قلبه مريضا بحب الجاه وكراهة الحق، والحقد على المصلح، لأن قلبه لم يمرض بالضعف والخور والشرور، فكان جريئا في معاداة الحق وخذلان الإصلاح[1].

أما المنافق فكان خبيثا في عداوته، محتالا في إفساده، شأن الضعيف الذي لا يستطيع أن يشفي غيظه، يمكر ويخادع، ويداجي ويوارب، مرض قلب ذلك المنافق فلم يثق بالله في وعده ووعيده، ولم يؤمن به في ثوابه وعقابه، فمرض بذلك المرض صاحبه،

[1] شرح رسالة الحقوق – الإمام زين العابدين (ع): ص ١٧٣.

ولم يفض على الجسم نورا يسير به في الظلمات، ويهتدي به في الملمات، وكان مثل ذلك الجسم كجيش اعتل قائده فهو يسير بلا قيادة، وهيهات أن يهتدي أو يصل إلى غاية.

(الثالثة): من أخلاق المنافق أن يعجبك قوله، ويسوؤك عمله، قوله قول المتقين، وعمله عمل الجبارين، إذا تكلمت معه في الإصلاح والمصلحين، والافساد والمفسدين أفاض معك في القول، وأراك أن قلبه يتفطر حسرة لذلك الفساد الذي نراه كل يوم، وأنه يتمنى أن لو صلح أمر الناس، وقد يصف لك طريق الخلاص من ذلك الفساد كطبيب ماهر وعالم خبير، وإذا ولي عملا من أعمال المسلمين رأيته شيطانا من الشياطين، رأيته ظلم العباد والبلاد وعاث في الأرض الفساد[1]، (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد[2].

(الرابع): من أوصاف المنافقين أنهم لم يرضوا الله ورسوله حكما فيما يعرض لهم من خلاف، فحكومتهم غير حكومة المؤمنين، ومرجعهم غير مرجعهم، فإن الله تعالى يرينا أن حكومة المؤمنين عند النزاع هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وفيها يقول تعالى: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا.

---

[1] شرح رسالة الحقوق – الإمام زين العابدين (ع): ص ١٧٣.

[2] شرح رسالة الحقوق – الإمام زين العابدين (ع): ص ١٧٣.

أما هؤلاء فيتحاكمون إلى غير كتاب الله المعصوم، وسنة رسوله الصحيحة، يتحاكمون إلى طواغيتهم وأوليائهم، ويحلونهم محل المعصوم، وإذا طالبتهم بالمحاكمة إلى الله ورسوله صدوا عنك صدودا. (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا[1].

وقد بين الله علة إعراضهم عن المحاكمة إليه في قوله: (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أي من مرض ونفاق، وهو علة ذلك الإعراض، وهو يرينا بذلك أن المؤمن الذي سلم قلبه من الشك والنفاق لا يمكن أن يعرض عن حكومة المؤمنين.

(الخامس): من صفاتهم إكثارهم من الحلف، فتراهم كثيري الإيمان وكثيري الكذب، والقرآن الكريم يحدثنا عنهم وعن أيمانهم؛ فيقول: (ويحلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) وتراه يقول:(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وتراه يقول: (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون، يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين).

وسبب إكثارهم من الإيمان أنهم لا يثقون بأنفسهم ولا يعتقدون أنهم صادقون، والشأن فيمن فقد الثقة في نفسه أن يشعر بفقد ثقة الناس فيه، فيجد نفسه في حاجة إلى

[1] شرح رسالة الحقوق – الإمام زين العابدين (ع): ص ١٧٤.

أيمان عله يعوض شيئا من هذه الثقة، أما الرجل الذي يصدق ويعتقد في نفسه أنه صادق فما أغناه عن تأكيد أحاديثه بالأيمان وتقويتها بالحلف.

(السادس): من أخلاقهم، كذبهم وتهاونهم بالصدق، وامتهانهم لأنفسهم وكرامتهم، وجدير بقوم فقدوا الشجاعة الأدبية ولم يكن لهم مذهب معين في الحياة أن يكونوا كذبة، لا يعنون بحق ولا يحلفون بصدق.

وقد كشف الله عن كذبهم في دعوى الإسلام، فعرف نبيه محمد صلى الله عليه وآله أن المنافقين إذا جاؤوك وقالوا لك نشهد أنك رسول الله فلا تصدقهم، لأنهم لم يقولوا ذلك عن يقين واقتناع، كما هو الشأن في الشهادة، وإنما يقولون ذلك تقية منك ومن أصحابك، وأن الله تعالى يشهد بكذبهم، ومن شهد الله بكذبه لا أحد يصدقه، (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) [1].

وينقسم النفاق على قسمين:

الأول: اعتقادي، وهو النفاق الأكبر الذي يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله، أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار [2].

---

[1] شرح رسالة الحقوق – الإمام زين العابدين (ع): ص ١٧٤.

[2] آفات اللسان، حسين العوايشة: ص119–120.

وهذا النوع عند العلماء مُخرج من الدين بالكلية، مثل الكفر، وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين[1].

وإن من أهم أسباب النفاق:

1- ضعف اليقين في الله عز وجل، وما عنده فآثر المنافق الدنيا العاجلة، لأنها ملموسة وترك الآخرة.

2- خوف الناس وخوف ملامتهم فهو يخاف أن يعاديه المؤمن والكافر فصار السبيل عنده للخلاص هو إعطاء كل منها وجهاً يناسبه، لكن هو قلبه مع الكفار فصار معول هدم في صفوف المؤمنين لذلك صار خطره أشد وأنكى بالمؤمنين من الكفار الظاهرة لأنه لا يدرى متى يغدر.

3- حقده على المسلمين، ونظراً لأنه ليس في موقف قوة فإنه أثر العمل في الخفاء، كعبد الله بن أبي سلول.

4- خلو قلبه من الإيمان بالله، فصار قلبه خرباً خاوياً من ذكر الله وأصبح بيئة خصبة للنفاق.

5- كرهه للدين الإسلامي لأنه حرمهم من الظلم الذي كان يمارس على الضعفاء بغير وجه حق، لأن الدين الإسلامي ساوى بين الغني والفقير، بين القوي والضعيف، وحفظ حقوق البشر كلهم[2].

---

[1] المحلى، لابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت، 405/1؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 49/1؛ وينظر: التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، 489/2.

[2] النفاق، عبد الجليل مبرور، شبكة الألوكة www.alalwka.com.

قال تعالى: (قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا...)[1].

نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سنة مجدبة، فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالقاذورات وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ويقولون: أتتك العرب أنفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فاعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه ويقولون اعطنا، فأنزل الله بهم هذه الآية[2].

جاء في تفسير الميزان: الآية وما يليها إلى آخر السورة متعرضة لحال الاعراب في دعواهم الايمان ومنهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإيمانهم، وسياق نقل قولهم وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيبهم بقوله: (لم تؤمنوا) يدل على أن المراد بالأعراب بعض الاعراب البادين دون جميعهم، ويؤيده قوله: (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) التوبة: 99.

وقوله: (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا) أي قالوا لك آمنا وادعوا الايمان قل لم تؤمنوا وكذبهم في دعواهم، وقوله: (ولكن قولوا أسلمنا) استدراك مما يدل عليه سابق الكلام، والتقدير: فلا تقولوا آمنا ولكن قولوا: أسلمنا.

وقوله: (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) لنفي دخول الايمان في قلوبهم مع انتظار دخوله، ولذلك لم يكن تكرارا لنفي الايمان المدلول عليه بقوله: (لم تؤمنوا).

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 14.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 350/6.

وقد نفي في الآية الايمان عنهم، وأوضحه بأنه لم يدخل في قلوبهم بعد، وأثبت لهم الاسلام، ويظهر به الفرق بين الايمان والاسلام بأن الايمان معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد، والاسلام أمر قائم باللسان والجوارح؛ فإنه الاستسلام والخضوع لسانا بالشهادة على التوحيد والنبوة وعملا بالمتابعة العملية ظاهرا سواء قارن الاعتقاد بحقية ما شهد عليه وعمل به أو لم يقارن، وبظاهر الشهادتين تحقن الدماء وعليه تجري المناكح والمواريث[1].

إن للمنافقين صفات كثيرة قد بينها الله عز وجل في كتابه ونبيه (صلى الله عليه واله وسلم) في سنته وقد جعل الله تعالى هذه الصفات دليلاً على نفاق المرء فمن اتصف بها كان منافقاً خالصاً منها:

1- إنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قال تعالى: (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)[2].

يقول صاحب الأمثل: الإسلام واجه في عصر انبثاق الرسالة مجموعة لم تكن تملك الإخلاص اللازم للإيمان، ولا القدرة اللازمة للمعارضة.

هذه المجموعة المذبذبة المصابة بازدواج الشخصية توغلت في أعماق المسلمين، وشكلت خطرا كبيرا على الإسلام والمسلمين. كان تشخيصهم صعبا لأنهم متظاهرون

[1] تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ٣٢٩/١٨.

[2] سورة البقرة، الآية: 8، 9.

بالإسلام، غير أن القرآن بين بدقة مواصفاتهم وأعطى للمسلمين في كل القرون والأعصار معايير حية لمعرفتهم.

الآيات المذكورة قبلها بينت في مطلعها الخط العام للنفاق والمنافقين: ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين.

هؤلاء يعتبرون عملهم المذبذب هذا نوعا من الشطارة والدهاء يخادعون الله والذين آمنوا بينما لا يشعر هؤلاء أنهم يسيئون بعملهم هذا إلى أنفسهم، ويبددون بانحرافهم هذا طاقاتهم، ولا يجنون من ذلك إلا الخسران والعذاب الإلهي. وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.

في الآية التالية يبين القرآن أن النفاق في حقيقته نوع من المرض. الإنسان السالم له وجه واحد فقط، وفي ذاته انسجام تام بين الروح والجسد، لأن الظاهر والباطن، والروح والجسم، يكمل أحدهما الآخر. إذا كان الفرد مؤمنا فالإيمان يتجلى في كل وجوده، وإذا كان منحرفا فظاهره وباطنه يدلان على انحرافه.

وازدواجية الجسم والروح مرض آخر وعلة إضافية. إنه نوع من التضاد والانفصال في الشخصية الإنسانية: في قلوبهم مرض.

وبما أن سنة الله في الكون اقتضت أن يتيسر الطريق لكل سالك، وأن تتوفر سبل التقدم لكل من يجهد في وضع قدمه على طريق. وبعبارة أخرى: إن تكريس أعمال الإنسان وأفكاره في خط معين، تدفعه نحو الانغماس والثبات في ذلك الخط فقد أضاف القرآن قوله: فزادهم الله مرضا. وبما أن الكذب رأس مال المنافقين، يبررون به ما في حياته من متناقضات، ولهذا أشار القرآن في ختام الآية إلى هذه الحقيقة: ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون.

ثم تستعرض الآيات خصائص المنافقين، وتذكر أولا أنهم يتشدقون بالإصلاح، بينما هم يتحركون على خط التخريب والفساد: وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض، قالوا: إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

ذكرنا سابقا أن الإنسان، لو تمادى في الغي والضلال، يفقد قدرة التشخيص، بل تنقلب لديه الموازين، ويصبح الذنب والإثم جزء من طبيعته. والمنافقون أيضا بإصرارهم على انحرافهم يتطبعون بخط النفاق، وتتراءى لهم أعمالهم بالتدريج وكأنهم أعمال إصلاحية، وتغدو بصورة طبيعة ثانية لهم.

علامتهم الأخرى: اعتدادهم بأنفسهم واعتقادهم أنهم ذووا عقل وتدبير، وأن المؤمنين سفهاء وبسطاء: وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس، قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء؟.!!

وهكذا تنقلب المعايير لدى هؤلاء المنحرفين، فيرون الانصياع للحق وإتباع الدعوة الإلهية سفاهة، بينما يرون شيطنتهم وتذبذبهم تعقلا ودراية!! غير أن الحقيقة عكس ما يرون: ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. أليس من السفاهة أن لا يضع الإنسان لحياته خطا معينا، ويبقى يتلون بألوان مختلفة؟! أليس من السفاهة أن يضيع الإنسان وحدة شخصيته، ويتجه نحو ازدواجية الشخصية وتعدد الشخصيات في ذاته، ويهدر بذلك طاقاته على طريق التذبذب والتآمر والتخريب، وهو مع ذلك يعتقد برجاحة عقله؟! العلامة الثالثة لهؤلاء، هي تلونهم بألوان معينة تبعا لما تفرضه عليهم مصالحهم، فهم انتهازيون يظهرون الولاء للمؤمنين ولاعدائهم من الشياطين[1].

2- الاستهزاء بالمؤمنين قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى

[1] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٩٦/١.

شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)[1].

3- ترك التحاكم إلى الله ورسوله قال تعالى: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ)[2].

وهناك نفاق أصغر وهو نفاق العمل إذ يظهر الإنسان عملاً صالحاً ويبطن ما يخالف ذلك[3]. قال ابن القيم: ((أما النفاق فالداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئاً منه وهو لا يشعر فإنه أمر خفي على الناس وكثيراً من يخفى عليه من تلبس فيزعم أنه مصلح وهو مفسد))[4].

وأصول النفاق ترجع إلى الخصال التي ذكرها حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: ((أربع من كن فيه كان منافقاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)) [5].

---

[1] سورة البقرة، الآية: (14).

[2] سورة النور، الآيات (47-49)

[3] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي (ت 795هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ت: ص403.

[4] مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية: ص347.

[5] مسند أحمد، أحمد، 189/2؛ جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي: ص403.

فالمنافق جمع مع كفره الذي يبطنه أمراضاً كثيرة منها: (الزيغ، والطبع، والضيق، والحرج، والأقفال، والختم والرعب، والنفور، والبغضاء، والارتياب، والاشمئزاز)[1].

4- الخيانة: وهي صفة من صفات النفاق، والخيانة نعني بها أمرين:

أولهما: المعنى الواسع لها وهو ألا يرعى المرء ما للآخرين من حرمة وحقوق ولا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة ولا يراعي لهم جواراً فيسلمهم ما ليس له يملك ويسطو على ما بأيديهم.

والثاني: فهو أن يؤتمن المرء على شيء فلا يقيم لحرمة الأمانة وزناً[2].

ويدخل في مفهوم الخيانة، التجسس لحساب العدو[3].

وتسمى خيانة عظمى، وهي أخطر وأفضع من تلك الخيانة العادية التي تتصل بفرد أو أفراد، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[4].

5- الكذب: والنفاق مبني على الكذب[5] والمنافق كثير الكذب لأن باطنه يختلف عن ظاهره وهو لابد له أن يكتم ما يبطنه ويظهر خلافه فيعمد إلى الكذب لئلا يفتضح أمره[1].

---

[1] النفاق آثاره ومفاهيمه، لعبد الرحمن الدوسري، ط1، نشر وتوزيع: مكتبة دار الأرقم، الكويت، 1402هـ: ص15.

[2] المنافقون وشعب النفاق، حسن عبد الغني، د.ت، دار الثقافة، قطر – الدوحة: ص105-106.

[3] المنافقون وشعب النفاق، عبد الغني: ص116.

[4] سورة الأنفال، الآية: 27.

[5] التذكرة، هاشم محمد، دار الأقلام، الكويت، 1987م: ص151.

يقول تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)[2].

6- إيذاء المؤمنين، ويعد عمل من أعمال النفاق، وذلك كأن يسخر رجل من رجل مسلم أو كأن يؤذيه بأية صورة من الصور التي تنم عن الإيذاء وتعبر عنه سواء كان ذلك بالتجريح بالقول، والفعل[3] من اللمز والهمز.

قال تعالى: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[4].

جاء في تفسير الميزان: التطوع الإتيان بما لا تكرهه النفس ولا تحسبه شاقاً ولذلك يستعمل غالباً في المندوبات لما في الواجبات من شائبة التحميل على النفس بعدم الرضى بالترك. ومقابلة المطوعين من المؤمنين في الصدقات بالذين لا يجدون إلا جهدهم قرينة على أن المراد بالمطوعين فيها الذين يؤتون الزكاة على السعة والجدة كأنهم لسعتهم وكثرة مالهم يؤتونها على طوع ورغبة من غير أن يشق ذلك عليهم بخلاف الذين لا يجدون إلا جهدهم أي مبلغ جهدهم وطاقتهم أو ما يشق عليهم القنوع بذلك. وقوله: { الذين يلمزون } الآية كلام مستأنف أو هو وصف للذين ذكروا بقوله: { ومنهم من عاهد الله } الآية كما قالوا: والمعنى: الذين يعيبون الذين يتطوعون بالصدقات من المؤمنين الموسرين والذين لا يجدون من المال إلا جهد أنفسهم من الفقراء المعسرين

---

[1] المنافقون في القرآن الكريم، إبراهيم النعمة، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1988م: ص8.

[2] سورة التوبة، الآية: 78.

[3] ينظر: المنافقون وشعب النفاق، الغني: ص160-216.

[4] سورة التوبة، الآية: 79.

فيعيبون المتصدقين موسرهم ومعسرهم وغنيهم وفقيرهم ويسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم، وفيه جواب لاستهزائهم وإيعاد بعذاب شديد[1].

7- ذو الوجهين: فمن الناس من يظهر لك إذا قابلك أنه صديقك الحميم والحريص على مصلحتك الساعي في منفعتك، وأنه عدو لعدوك، وأنه حرب عليه مثلك ناصب له حياة الشر فتغتر بقوله وتنخدع بوشيه، فتفضي إليه بسر نفسك وتبوح له بخبيئة أمرك وتحدثه عن عدوك وبما تنقم منه وتعيب عليه وما تدبره له أو تتقي به شره وضره وكيده ومكره فإذا ما فارقك ذهب إلى عدوك وباح له بكل سرك ودخيلة نفسك، وطعن له في عرضك، ونال من شرفك وظهر له أنه عدو لك وحرب عليك، وأنه له الصديق الوفي فتطمئن نفسه إليه وينطلق فيك بالذم وفي عرضك بالنهش ثم يحدث هذا بما فكر فيه وقدر وبيت له ودبر فيذهب به الأول ويقصه عليه قصاً، حتى يوغر صدره إيغاراً ويشعل في قلبه ناراً، فيزداد العداء وتربوا الشحناء[2].

وهكذا دواليك بين الاثنين أو الحزبين حتى تأجج نيران العداوة وترمي بشرر كالقصر، فمثل هذا منافق كذاب، مختال خداع، غشاش، نمام فكان لا ريب عند الله من الأشرار، حرباً يصلى النار وهذا هو ذو الوجهين المتلون بلونين، اللابس لباسين وليس منه من يسعى بالإصلاح بين خصمين أو حزبين[3].

---

(1) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي، ج ٣٤٩/٩.

(2) الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ط1، دار القلم، دمشق، 1986م: ص69.

(3) الأدب النبوي، الخولي: ص69.

ولم يخلُ مجتمع من المجتمعات في أي عصر من العصور من ذوي النفوس الضعيفة والقلوب المريضة ومن الذين ماتت ضمائرهم ونزلت إلى حضيض الباطل نفوسهم[1].

إن طلاب المطامع والأهواء ما أكثرهم في كل عصر وما أعظم عددهم في كل مجتمع أن الذين يتقاتلون لإرضاء شهواتهم والوصول إلى مطالب أهوائهم كثيرون في كل أمة وجيل[2].

إن جريمة النفاق لهي شر فعلة في الوجود وإن المنافقين لهم شر الخليقة بأسرها ومن ثم كان وجودهم في صفوف المؤمنين مدعاة للارتباك والزلزلة والرعب... ومن ثم كانت محنتهم أشد المحن على نفوس المؤمنين وقعاً.

قال تعالى: (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[3].

وهو ليس نفاقاً دينياً يظهر المرء فيه الإسلام ويبطن فيه الكفر، بل هو يتعلق بسلوك اجتماعي وعلاقات فردية وأمراض اجتماعية... تؤثر بقوة المجتمع وتماسك أفراده ويظهر خطره في النفاق عموماً مذموم ومنبوذ والمنافقون مكروهون مزيفون[4].

---

[1] المنافقون وشعب النفاق، عبد الغني: ص19.

[2] المنافقون وشعب النفاق، عبد الغني: ص22.

[3] سورة العنكبوت، الآيات 1-3.

[4] النفاق الاجتماعي، محمد سعيد قاسم، موقع صيد الفوائد www.foaid.com .

وظاهرة النفاق غالباً ما تشاع في الواقع المضطرب وغير مستقر سياسياً واجتماعياً وفي حالات كثيرة يكون بروزها مقروناً بالتغيرات والانقلابات السياسية الحادة التي تشهدها المجتمعات.

لقد أضحى النفاق أحد أهم المبادئ والأدوات السياسية المعاصرة له مدارسه ونظرياته ومراكزه البحثية العلمية بمسمياتها المختلفة وله أساليبه الخاصة والعامة ويمارسه الجميع على مختلف المستويات على مستوى الأفراد والجماعات والأحزاب والأنظمة والدول مع بعضها بعض ويمكن القول أن النفاق كسلوك يظهر معه أصحابه بغير ما يبطنون أضحى ممارسة سياسية تلجأ إليه كثير من الدول تخفي جرائمها وأهدافها غير الأخلاقية خلف شعارات جميلة وجذابة[1].

وقد تكون الأنظمة مجبرة على التعاطي مع حقائق العصر السياسية الدولية بكل أسلحتها وأساليبها ووسائلها المتاحة والسائدة بما في ذلك النفاق السياسي الذي قد يفرض عليها كظاهرة حتمية عصرية يجب التعامل معها ومزاولتها كضرورة تاريخية لابد منها بالدفاع عن مصالح وحقوق هذه الدول التي وإن كانت لا تقره المبادئ والقيم[2].

إن ممارسة النفاق أياً كانت أساليبه ومبرراته وواقعه غير مقبول أخلاقياً على النطاق الاجتماعي والثقافي لأي مجتمع وقد حارب الإسلام هذه الظاهرة الموقوتة التي شاعت سمة استفحل خطرها داخل المجتمع الإسلامي بعد الانتصار في معركة بدر ونجاح الإسلام في استئصال الكفر وتقويض سلطان الكافرين وقد جاء في تلك المدة

---

[1] النفاق وخطره على المجتمع، علي حسن الشاطر، جريدة الرياض، (16 اكتوبر 2012م) – (الثلاثاء 30 ذو القعدة 1433)، العدد 1628.

[2] النفاق وخطره على المجتمع، علي حسن الشاطر، جريدة الرياض، (16 اكتوبر 2012م) – (الثلاثاء 30 ذو القعدة 1433)، العدد 1628.

نشاط الكفار والمنافقين حينها باتجاه التشكيك بالدين ونشر الإشاعات والأراجيف في أوساط المسلمين بهدف الإساءة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وإفساد أخلاقيات وحياة المسلمين وتثبيطهم ورميهم بالأفك والفاحشة والاستعانة بأعداء الإسلام[1].

أما الأسباب النفسية والاجتماعية للنفاق فتتركز في ثلاثة عوامل رئيسية:

1- انعدام الثقة في النفس أو ضعفها والشعور بالنقص يقابلهما على المستوى الجمعي التخلف الذي يعيشه المجتمع والتخلف هو ترهل وضعف في مختلف البنى والعناصر المكونة للمجتمع وقد بات من الثابت الأكيد أن النفاق يكثر في المجتمعات المتخلفة ويقل في المجتمعات المتطورة ولا ينعدم.

2- تردي الأحوال الاقتصادية للمجتمع غالباً ما يكون عاملاً من عوامل انتشار النفاق فتردي الأحوال الحال الاقتصادي للمجتمع يدفع بالطامحين والطامعين وضعاف النفوس إلى التفكير في التسلق والوصول ويكون النفاق أحد أيسر السبل لتحقيق ذلك.

3- العقلانية الاجتماعية ذاتها: يمكن أن تكون سبباً من أسباب انتشار النفاق أو كثرة انتشاره كما يمكن أن تكون سبباً من أسباب انحساره فالمجتمعات العاطفية والانفعالية ينتشر فيها النفاق أكثر من المجتمعات العقلانية[2].

---

[1] النفاق وخطره على المجتمع، علي حسن الشاطر، جريدة الرياض، (16 اكتوبر 2012م) – (الثلاثاء 30 ذو القعدة 1433)، العدد 1628.

[2] النفاق مفهومه وأنواعه وأسبابه، د. عزت السيد أحمد، مقالة منشورة في موقع منتديات فرسان الثقافة، www.omferas.com.

ولقد حرص الإسلام على أن ينقي النفس الإنسانية من النفاق، فاتخذ لذلك طرقاً تربوية حكيمة متدرجة أهمها: عن طريق التبصير بالنفاق وبيان صفاته، والتحذير منه وبتبشيع صوره والتنفير من صفاته، والتخويف من الوقوع فيه، ومقاومة الوقوع فيه بإخلاص العبادة لله تعالى وإخلاص القول والعمل له سبحانه وتعالى، ويعتقد أن مصير المنافقين وأنهم أسوأ من الكافرين، وعن طريق التأكيد على أن المنافقين أشد خطراً وضرراً على المسلمين من الكافرين والفاسقين، وأن المنافقين قد زين لهم الشيطان النفاق لأنه فاحشة والشيطان يأمر بالفاحشة[1].

فإذا تخلت النفس الإنسانية عن رذيلة النفاق فقد تطهرت من إثم كبير وشر مستطير وتحصنت من الشيطان ووساوسه وتخلصت بذلك من مرض نفسي وقلبي عضال[2].

[1] النفس والإسلام، د. علي عبد الحليم محمود، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر – القاهرة، 2005م: ص245.

[2] النفس والإسلام، محمود: ص245.

الفصل الثالث
فلسفة النفس البشرية وارتباطاتها الواحدة في تراث الإمام السجاد عليه السلام

المبحث الأول
جبلة النفس البشرية

تمثل النفس العدو اللدود للإنسان، والحق لا يدرك الإنسان حقيقة ذلك، إذ كيف يُعقل أن يكون الإنسان عدو نفسه ؟ ولا يدرك الإنسان إلا أن يهبه الله العقل حينئذٍ يدرك أنه اجهل من كل إنسان وأن ناره أكثر تأججاً من نار سواه لكن الإنسان لا يفرّق بين العقل والنفس فتراه يفعل ما يروق له طبقاً لهواه حتى لو كأن في ذلك النار، وهذا ما تفتخر به القوى الكبرى والنفوس الشريرة وغير الإلهية صاحبة الذنوب والمعاصي (وكأن لسان حال تلك النفوس يقول: أن بإمكاننا حرق العالم بأسره) [1].

وقد فقه الإمام السجاد عليه السلام حقيقة النفس وفهم طبيعتها بشكل يندر مثيله وهذا واضح بين في كثير من أدعيته وأشعاره، حيث كان يربط محبة الله تعالى بكون الإنسان حسن الخلق فيقول عليه السلام: (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا، وَ إِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا أَعْظَمُكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَةً، وَ إِنَّ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَشَدُّكُمْ خَشْيَةً لِلَّهِ وَ إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَوْسَعُكُمْ خُلُقاً وَ إِنَّ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغُكُمْ عَلَى عِيَالِهِ، وَ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَلَى اللَّهِ أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ)

وكان يرى بان تزكية النفس اساس كل خير؛ فيقول عليه السلام: (الْخَيْرُ كُلُّهُ صِيَانَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ).

وفي هذا الحديث صيانة النفس عن الهوى واتباع سبل الصلاح فيه كل الخير والالف واللام في الخير دلالة على العموم. وقال عليه السلام في حديث آخر قريب من

---

[1] ظ: الديني: رضا بهاء، مدارج الكمال، ط1، 1418هـ – 1998م، دار الرسول الأكرم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ترجمة: إبراهيم الخزرجي،152–153.

هذا المعنى: (ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَكَ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِكَ، وَ مَا كَانَتِ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّكَ، وَ مَا كَانَ الْخَوْفُ لَكَ شِعَاراً، وَ الْحَذَرُ لَكَ دِثَاراً، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَيِّتٌ، وَ مَبْعُوثٌ، وَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ فَأَعِدَّ لَهُ جَوَابا).

ولا شك أن في كيان الإنسان غرائز وميولاً مختلفة، وجميعها ضروري لإدامة حياته، الغيظ والغضب، حب النفس، حب المال والحياة المادية وأمثالها، ولا شك أن مبدع الوجود خلقها جميعاً لذلك الهدف التكاملي لكن المهم هو أنها تتجاوز حدها أحياناً وتخرج عن مجالها وتتمرد على كونها أداة طيعة بيد العقل، وتصر على العصيان والطغيان فتسجن العقل وتتحكم بكل وجود الإنسان وتأخذ زمام اختياره بيدها وهذا ما يعبرون عنه بـ (إتباع الهوى).

والهوى هو ميل النفس إلى الشهوات، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية[1].

وقيل هوى النفس إرادتها والجمع أهواء، وقال اللغويون: الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه [2].

فالهوى مجموعة الميول والغرائز النفسية التي تحرك الإنسان وتحقق عنده مستوى اللذة، والإتباع المنهي عنه هو الانجرار وراء تلك الميول وتجاوز الحدود الشرعية.

وقد وردت كلمة الهوى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بلغ تعدادها أكثر من ثلاثين مرة [4].

---

[1] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ص 849.

[2] لسان العرب، ابن منظور، 370/15 مادة (هوى).

كما وردت في السنة المطهرة بكثرة كالحديث الوارد عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله): (أنما أخاف عليكم اثنتين: إتباع الهوى وطول الأمل، أما إتباع الهوى فأنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة) [5].

وعن أبي محمد الوابشي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: (احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس شيء أعدى للرجال من إتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم) [1].

وهذا المعنى لم يغفله الإمام عَلِيُ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: (الْعَقْلُ دَلِيلُ الْخَيْرِ وَ الْهَوَى مَرْكَبُ الْمَعَاصِي)؛ إذ من يتجنب الهوى فلا يركب المعاصي، وهو دلالة باللازم فان من لجم هواه بعقال التدبر فلا يركب المعاصي. من آثار التزكية أن الله تعالى يمنحه الطافه، ويسخر له الكون وما فيه، ويجمع غناه في نفسه، فعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: وَ عِزَّتِي وَ عَظَمَتِي وَ جَلَالِي وَ بَهَائِي وَ عُلُوِّي وَ ارْتِفَاعِ مَكَانِي لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هَوَايَ عَلَى هَوَاهُ إِلَّا جَعَلْتُ هَمَّهُ فِي آخِرَتِهِ وَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَ كَفَفْتُ عَلَيْهِ صَنِيعَتَهُ وَ ضَمَّنْتُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ رِزْقَهُ وَ آتيه [أَتَتْهُ] الدُّنْيَا وَ هِيَ رَاغِمَةٌ).

---

[4] سورة البقرة: الآية: (87)و(120)و(145)، المائدة: (70)و(49)و(77)، النجم: (1)و(3)و(23)و(53)، الأنعام: (150)و(56)، الرعد: (37)، المؤمنون: (71)، القصص: (50)، الروم: (29)، الشورى: (15)، الجاثية: (18)و(23)، محمد: (14)و(16)، النازعات: (40)، النساء (135): ص: (26)، الأنعام: (119)، الأعراف: (176)، طه: (16)، الفرقان: (43)، الكهف: (28).

[5] الكليني: محمد بن يعقوب / أصول الكافي، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط5، 1425هـ، إيران، 348/2 .

[1] الكليني: أصول الكافي / 347/2.

كيف لا والدنيا بحسب تعبير الإمام السجاد تأتي راغمة منقادة لمن يحرتم نفسه ويجلها ويبعدها عن طرق الرذيلة ؛ فيقول عليه السلام: (مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا)، وَ قِيلَ لَهُ: (مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَراً؟ فَقَالَ عليه السلام: مَنْ لَمْ يَرَ الدُّنْيَا خَطَراً لِنَفْسِه).

إذن التزكية دليل على الذنوب، فبها يتجنب الوقوع بالذنوب، يقول الامام السجاد عليه السلام: (إذا نصح العبد لله في سرّه أطلعه الله على مساوئ عمله، فتشاغل بذنوبه عن معايب الناس). والذي يتأمل يجد أنَّ ارشاد الله عز وجل له الى عيوبه وفعاله السيئة من النعم العظام والتوفيق؛ لان التعرف الى ما لا يريده الله ليس متاح لكل انسان. ان العمل خلاف التزكية مضر للدين وممحق له، وان قيمة المرء بدينه قال الامام السجاد عليه السلام: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ وَمَا أَعْلَمُ إِلَّا كَثِيراً مِنْكُمْ قَدْ نَهَكَتْهُ عَوَاقِبُ الْمَعَاصِي فَمَا حَذَرَهَا وَأَضَرَّتْ بِدِينِهِ فَمَا مَقَتَهَا).

إن الهوى هو الرأي الشخصي المنفصل عن الشارع المقدس والهوى المنفصل عن التشريع يكون مطية للشيطان ويورد صاحبه الهلكة [2].

ولكي نعرف الهوى ودوره الايجابي والسلبي وفي البناء والتخريب في حياة الإنسان لا بد أن نتعرف على أبرز خصائص الهوى في حياة الإنسان ومن أبرز خصائصه:

1- الحالة التوسعية للهوى:

أن حالة التوسع والإطلاق في الطلب من أبرز خصائص الغرائز في الإنسان وتختلف الغرائز والأهواء والشهوات في درجة الإشباع والاكتفاء [3].

---

[2] الأعرجي: السيد سعيد: خطوات الشيطان، دار الرسول الأكرم، ط1، 1428هـ-2007م، بيروت، لبنان،121 .

أن طلب الغريزة مطلق ولا نفاذ له ولا يتوقف عند حد فالرغبة الناجمة من هذه الغريزة والصادرة عنها لا تعرف الحدود فمهما ملك ابن آدم من الأملاك والخزائن فأنه يبقى يطلب المزيد بدون توقف، لأن رغبة الإنسان بالتملك ليس لها حدود بل هي كجهنم كلما القي فيها قالت هل من مزيد [4].

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((لو كأن لابن آدم واديان من ذهب لأبتغى وراءهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)) [1].

وعن حمزة بن حمران قال: شكى رجل إلى أبي عبد الله (عليه السلام) أنه يطلب فيصيب، ولا يقنع وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه، قال: علّمني شيئاً أنتفع به، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ((أن كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك، وأن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك)) [2].

2- قوة التحريك والإلحاح في الهوى:

أن الهوى من أقوى العوامل المحركة للإنسان والهوى هو العامل الوحيد لتحريك الحضارات الجاهلية على سعتها، والحضارات الجاهلية تغطي أوسع مساحة من تاريخ الأرض وجغرافيتها وإذا تجاوزنا بقايا الفطرة والضمير والعقل في الحضارات الجاهلية فأن

---

[3] الآصفي: محمد مهدي، الهوى في حديث أهل البيت، ط1، 1415هـ - 1994م، دار الثقلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان: ص19.

[4] دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، جميل مال الله: ص 386.

[1] تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، الاشري: أبو الحسين ورام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، 1 /163.

[2] أصول الكافي، الكليني، 139/2.

الهوى يعتبر العامل الأكبر في تحريك هذه الحضارات في الحرب والسلم، والاقتصاد، والعلم، وفيما يحدث في هذه الحضارات من الجرائم [4].

وغريزة الهوى ضاغطة على سلوك الإنسان بل هي من أقوى عوامل الضغط عليه [1][1]، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي أن النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ أن رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [2].

فالهوى قوة ضاغطة قوية في ذات الإنسان ولا ينجو من سيطرتها إلا من رحم الله، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((ألا وأن الخطايا خَيلُ شُمُس حَمَل عليها أهلها وخَلَعَت لُجُمها فتقحمت بهم النار ألا وأن التقوى مطايا ذُلُل حمل عليها أهُلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة)) [2][3].

وكذلك الأهواء والشهوات تحمل أهلها فيفقدون السيطرة عليها والقدرة على توجيهها بعكس التقوى التي تمكن الإنسان من شهواته وأهوائه وتطوع له نفسه وتمكنه من توجيهها ويقدم بها إلى الجنة.

3- حالة النهم في الهوى تتضاعف بالاستجابة:

وهذه حالة ثالثة من الهوى يزداد بموجبها إلحاحاً في الطلب كلما تزداد درجة استجابة الإنسان لها... والقاعدة في سائر الطلبات تقتضي العكس، كلما يستجيب

---

[4] ظ: م. ن، 20-21.

[1] دراسات أخلاقية، جميل مال الله: ص 387.

[2] يوسف: من الآية: 53.

[3] شرح نهج البلاغة، محمد عبده، 103/1.

الإنسان لطلب من طلبات النفس تخف حدة الطلب وضراوته، وتقرب من حالة الإشباع [5].

أما الهوى [*] فالأمر فيه على العكس كلما يبالغ الإنسان في الاستجابة لمطالبه يزداد إلحاحاً وضراوة في الطلب وتقل سيطرة الإنسان عليه، وبالعكس كلما يحاول الإنسان أن يخضع الاستجابة لمطالب الهوى للضوابط والمقاييس والمقادير المعقولة يخف طلبه وتزداد سيطرة الإنسان على هواه فأن الشهوات كالنيران كلما ينفخ فيها الإنسان تزداد لهيباً وشرراً والاستجابة المضبوطة والمحدودة بالضوابط والحدود الشرعية ادعى إلى إشباع الهوى من الاستجابة المطلقة وغير المحدودة واللامنضبطة فأن هذا النوع من الاستجابة المطلقة تزيد الهوى ظمأً وإلحاحاً وضراوةً كما تقلل من قدرة الإنسان على ضبط الهوى والسيطرة عليه [1].

4- لا تسلب الإنسان حريته وإرادته:

فلا يصح قول من يقول إني فقدت الإرادة أمام ضغوط الأهواء؛ لأنَّ سلطان الإرادة عند أهل الإرادة يبقى هو الحاكم الأعلى، والفرق بين الإنسان والحيوان أن الحيوان محكوم للغريزة، بينما الإنسان لا تحكمه الغريزة والأهواء فقط، فهناك فرق جوهري بين تكوين الإنسان وبين تكوين الحيوان والملائكة، فالحيوانات والملائكة كل منهما يتحرك ضمن بُعد واحد وعامل واحد وأما الإنسان فذو بعدين معاً [2].

---

[5] في حديث أهل البيت، محمد مهدي الآصفي الهوى: ص 22.

[*] ليس المقصود بالهوى كل الغرائز إذ من الغرائز ما تصح فيه هذه القاعدة.

[1] الهوى في حديث أهل البيت، محمد مهدي الآصفي: ص 22-23.

[2] دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، جميل مال الله: ص 387.

(عن عبد الله بن سنان أنه قال: سألت جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقلت الملائكة أفضل أم بنو آدم ؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن الله ركب الملائكة عقلاً بلا شهوة وركب البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم) [3].

ولا شك ان لاتباع الهوى آثارا تخريبية كبيرة وأن تزكية النفس ضرورية ومهمة للنأي عن تلك الآثار التخريبية التزكية طريق الى التطهير من الذنوب، ومعراج السالك، قال الامام السجاد عليه السلام: (وأن نتقرب إليك فيه من الاعمال الزاكية بما تطهرنا به من الذنوب). التزكية اساس قبول الاعمال، فمن لم تكن نفسه طاهرة فان ما يأتي به من اعمال لا يقبل منه، قال الامام السجاد عليه السلام: (ولا تحبط حسناتي بما يشوبها من معصيتك)

إن العاقبة الحسنة هي مصير من زكيت نفسه وطابت قال الامام عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: (طُوبَى لِمَنْ طَابَ خُلُقُهُ وَطَهُرَتْ سَجِيَّتُهُ وَحَسُنَتْ عَلَانِيَتُهُ وَ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ وَ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ).

وهنا قد يرد تساؤل هو: لماذا ابتلى الله الإنسان بالهوى؟ لماذا لم يجعله كالملائكة؟ وإذا كأن هو الذي جعل الهوى في داخل الإنسان غريزة ثابتة فلماذا نهى الإنسان عن إتباعه؟

وللجواب على هذا التساؤل نقول للهوى في حياة الإنسان آثار مهمة:

---

[3] وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي: محمد بن الحسن، ط3، 1416 ه، مطبعة ستارة، قم ا لمقدسة – إيران، 164/11.

1- الهوى العامل المحرك والأقوى في حياة الإنسان:

الهوى من أعظم العوامل المحركة في سلوك الإنسان، وقد ربط الله تعالى معظم القضايا الحيوية في حياة الإنسان بعامل الهوى، وجعل عامل الهوى ضماناً لتأمين هذه الحاجات الأساسية ومن تلك الحاجات الأساسية الحساسة المهمة التي لها ارتباط قوي بالهوى حاجات إنسانية كثيرة منها الحاجة إلى نمو الجسم وهذا يقتضي الأكل والشراب إذ لولاه لما عاش الإنسان ولما نما جسمه[1].

ومن حاجاته الأخرى غريزة التناسل إذ ضمانها الأول التزاوج ومن دونها ينقرض الإنسان وتنقطع ذريته، فغريزة الجنس هي الضمان[2].

والرغبة في التملك وهي حاجة اقتصادية من دونها لا تسير عجلة الحياة فأصبحت الرغبة في التملك غريزة إنسانية يسعى الإنسان إلى تحقيقها ويدافع عنها[3].

وهكذا شاء الله تعالى أن يربط ضرورات حياة الإنسان التي لا يستطيع أن يعيش على وجه الأرض من دونها بسلسلة من الغرائز تؤمن له استمرار هذه الضرورات.

2- الهوى سُلّم للكمال:

أن الأهواء لها أثر مهم في دفع الإنسان إلى صعود سلم الكمال والوصول إلى الله تعالى، وذلك أن الإنسان أنماز عن سائر الكائنات الأخرى أن تكامله يتم بصورة إرادية بينما الكائنات الأخرى تتكامل بصورة قهرية ولهذا السبب جعل الله الإنسان خليفته في الأرض فالكائنات كلها من حيوان وجماد ونبات ملائكة مسخرة لإرادة الله وتسير وفق

---

[1] دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، ظ: جميل مال الله: ص 389.

[2] الهوى في حديث أهل البيت، ظ: محمد مهدي الآصفي: ص 29.

[3] دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، ظ: جميل مال الله: ص 390.

نظام معين لا تستطيع الخروج عنه، أما الإنسان فليس كذلك، أنما هو خليفة ووكيل ينفذ أوامر الله باختياره [1].

ولذلك فأن الإنسان في القرآن (خليفة الله) لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ أني جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[2]، وسائر الكائنات ﴿ **مُسَخَّرات بأمرِه** ﴾ [3].

والخلافة والتسخير يشتركان في نقطة ويفترقان في أخرى فالتي يشتركان فيها هي: أنهما ينفذان ويطيعان أمر الله تعالى ومشيئته وأما التي يفترقان فيها فهي: أن (الخليفة) ينفّذ أمر الله تعالى عن إرادة واختيار، والمسخرات بأمره تنفّذ أمر الله تعالى من دون اختيار وبصورة قهرية، وهذه النقطة بالذات هي سر قيمة الإنسان وسموه ولولا أن طاعة الإنسان لله تعالى وتنفيذه لمشيئته تعالى تتم عن إرادة واختيار لما كان للإنسان قيمة فوق قيمة الكائنات الأخرى [4].

وهذا هو معنى أن الهوى سُلّم لحركة الإنسان إلى الله تعالى كما هو منزلق لسقوطه وهلاكه وهذا المعنى من طرائف الفكر الإسلامي.

جاء في نهج البلاغة أيضا عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول: ((إن الجنة حفت بالمكاره، وأن النار حفت بالشهوات، واعلموا: أنه ما من طاعة الله شيء إلا تأتي في كره، وما من معصية الله شيء إلا يأتي

---

[1] دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، جميل مال الله: ص 30.

[2] البقرة: من الآية: 30.

[3] الأعراف: من الآية: 54. سورة النحل: من الآيتان 12 و79.

[4] الهوى في حديث أهل البيت، محمد مهدي الآصفي: ص 31.

في شهوة فرحم الله إمرءاً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه فأن هذه النفس ابعد شيء منزعاً، وأنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى)) [1].

فأن الجنة والنار هما غايتان للإنسان: إحداهما: غاية لحركة الإنسان الصاعدة إلى الله والأخرى غاية لسقوط الإنسان.

3- التفاعلات التي تجري داخل النفس:

هذه الأهواء والشهوات التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان ذخائر ادخرها الله تعالى للإنسان، يستخرج منها ما يحتاج إليه في حركته فكما أودع الله تعالى في جوف الأرض ذخائر لمأكله وملبسه ومعيشته وأودع في البحار ذخيرة الماء التي يحتاجها الإنسان في شربه وسقيه وأودع في الجو ذخيرة الهواء التي يحتاجها الإنسان في تنفسه، أن هذه الغرائز هي مقدمات وجود الحيوان، ومعظم هذه الغرائز توجد في فصائل الحيوانات، ولكن الإنسان من دون سائر الحيوانات أتاه الله تعالى القدرة على كف هذه الغرائز وصدها وضبطها، وتحديدها وعامل هذا الكف والضبط هو الإرادة والغريزة الحيوانية الجامعة تتحول تحت هذا العامل الضاغط إلى قيم معنوية وفضائل أخلاقية، وبصيرة ويقين وعزم وحزم وإقدام وتقوى [2].

4- الأثر التخريبي للهوى

الهوى أحد أقطاب التخريب في حياة الإنسان، فالهوى يعمل في التخريب داخل النفس، وقد أمر الله تعالى في كتابه أن ننهى النفس عن الهوى ولا تتبعه، ونكفّه عن

---

[1] نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح، دار الأسوة للطباعة والنشر،ط5،(د. م)، (د. ت): ص334.

[2] الهوى في حديث أهل البيت، محمد مهدي الآصفي: ص 34-35.

نفوسنا قال تعالى: ﴿ **فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أن تَعْدِلُواْ** ﴾ [1]، والمعنى اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل وتحقيق الكلام أن العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى، ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الآخر وتقدير الآية، فلا تتبعوا الهوى لأجل أن تعدلوا يعني اتركوا متابعة الهوى لأجل أن تعدلوا [2].

فالهوى إذا استشرى وطغى يعطّل سائر المصادر في نفس الإنسان فيلغي دور العقل والقلب والضمير والفطرة والإرادة ويفرغها من محتواها، والتخريب الذي يجري في هذه المصادر تخريب شامل لدى شخصية الإنسان ولا يبقى بعد عملية التخريب الواسعة لهذه المصادر في النفس إلا الهوى، وهو يعتبر الجانب الحيواني من شخصية الإنسان، وهكذا يتحول هذا العامل المفيد والنافع في حياة الإنسان إلى عامل للتخريب والإفساد والتضييع [3].

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ [4]، أن شر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خاليًا عن ذكر الحق ويكون مملوءًا من الهوى الداعي إلى الإشغال بالخلق[5].

إذن هناك أثر تخريبي للهوى فهذا العنصر الضروري للإنسان يتحول إلى عنصر مخرب ضار لوجوده إذا طغى، ومثله في ذلك مثل الماء فالماء عنصر ضروري أساسي في حياة الإنسان ولكن هذا العنصر الضروري إذا طغى يتحول إلى قوة

---

[1] النساء: من الآية: 135.

[2] مفاتيح الغيب، الرازي، 75/6.

[3] الهوى في حديث أهل البيت: ص 41.

[4] الكهف: الآية: 28.

[5] مفاتيح الغيب، الرازي، 118/11.

تخريب وفساد وهدم لكل ما يمر عليه ولذلك نرى أن الإنسان من اجل أن يستفيد من الماء ويتجنب إضرار طغيانه يقوم بتنظيم سير حركة الماء من خلال حفر القنوات والأنهار وتنظيم حركته بالنواظم والسدود، كذلك الهوى أن لم ينتظم ويجري بموجب ضوابط وحدود وقوانين يتحول إلى عنصر مفسد مهلك وهذا ما سأبينه في المرحلتين التخريبية للهوى:

5- المرحلة الأولى من الأثر التخريبي للهوى

يقوم الهوى في هذه المرحلة بعمل واسع في إفساد الطاقات والكفاءات وتعطيلها ومصادر الوعي والحركة التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان [1].

فالهوى يغلق منافذ القلب عن الهدى قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [2]، وإنما سمي الهوى إلهاً من حيث أن العاصي يتبع هواه ويرتكب ما يدعوه إليه ولم يرد أنه هواه أو يعتقه أن يحق له العبادة لأن ذلك لا يعتقده احد، وقال ابن عباس: معناه أفرأيت من اتخذ دينه ما يهواه لأنه يتخذه بغير هدى من الله ولا برهان وحكم الله بضلالة عالماً بعدوله عن الحق وجعل على قلبه وسمعه علامة تدل على كفره وضلالة واستخفافه للعقاب لا أنه يفعل فيهما ما يمنع من فعل الإيمان والطاعات [3].

---

[1] الهوى في حديث أهل البيت، محمد مهدي الآصفي: ص 42.

[2] الجاثية: من الآية: 23.

[3] التبيان، الطوسي، 259/9.

والهوى ضلال وصد عن سبيل الله قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ أن الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ﴾ [4]،في هذه الآية الكريمة يوصي الله تبارك وتعالى داوود النبي (عليه السلام) لا تتبع الهوى أي ما يميل طبعك إليه ويدعوك هواك إليه إذا كان مخالفاً للحق، فلا تملل إليه فيضلك عن سبيل الله ومعناه أنك متى اتبعت الهوى في ذلك عدل بك الهوى عن سبيل الله الذي هو سبيل الحق والذين يعدلون عن العمل بما أمرهم الله به لهم عذاب شديد [1].

6- المرحلة الثانية من الأثر التخريبي للهوى.

مرحلة الاستيلاء والسيطرة على نفس الإنسان فإن سيطرة الهوى على الإنسان لها آثار تخريبية خطيرة، تهدم أهم الحصون في نفسه [2]. لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ [3].

وقد تعرض القرآن الكريم لبيان الأثر التخريبي للهوى، قال تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَإنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشيطان فَكَأن مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ أن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[4].

---

[4] ص: من الآية: 26.

[1] التبيان، ظ: الطوسي، 556/8.

[2] دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، جميل مال الله: ص 407.

[3] الكهف: الآية: 28.

[4] الأعراف: الآيتان، 175 – 176.

هذه الآية تشير إلى أحد علماء بني إسرائيل وكأن هذا الرجل [*] من كبارهم وكأن معتمداً عند موسى (عليه السلام) ومحترماً عند الناس لعلمه ووجاهته إلا أنه اتبع هواه فأسقطه في الحضيض وسقوطه كأن في طريقة استخدام علمه، فبعد أن فهم آيات الله وتحمل مسؤوليتها أراد أن يستعملها كآلة لخدمة مصالحه الدنيوية وتحقيق شهواته ونزواته الحيوانية في الوقت الذي أراد الله تعالى منه أن يتحرر بالمعرفة والعلم من قيود الأهواء المادية والمعنوية ويرتفع على شهواته الحيوانية فخالف إرادة الله تعالى فخرج عن آيات ربه ولذا تصف الآية الكريمة عملية خروجه بالإنسلاخ وهي كلمة توحي بأنه كان متلبساً بها، وهي ساترة وحافظة له من كيد الشيطان، كما تصور الآية حالة الجهد والمشقة التي عاناها حين خرج عن آيات ربه بإتباع هواه فأصبح عارياً لا يحصنه من الشيطان شيء [1].

[*] اختلف المفسرون في اسم صاحب هذه القصة وهي قصة واقعية مرت في غابر الزمن فقيل هو بلعم بن باعوراء في عصر موسى (ع) وقيل أمية بن الصلت، وقيل هو عامر الراهب الذي لقبه رسول الله (ص) بالفاسق وعلى كل حال فهو: (في الأصل بلعم ثم ضرب مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله تعالى من أهل القبلة كما قال الإمام الباقر (ع). التبيان، ظ: الطوسي، 31/5.

[1] دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، جميل مال الله: ص 398.

المبحث الثاني
الشيطان وأثره في فساد النفس

المطلب الأول: الشيطان، حقيقته وعداوته للإنسان.

أولاً: الشيطان وأثره في أنحراف الإنسان .

الشيطان: مخلوق من النار كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ الْجَأن مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ**﴾[1]، من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم، فالشيطان اسم لكل عارم من الجن والأنس والحيوانات [2].

فالشيطان لغةً: الشرير وقد غلب استعماله في إبليس الذي يصفه القرآن الكريم وذريته.

والشيطان لكل عاتٍ متمرد من الجن والأنس والدواب، وأن الشيء إذا استقبح شُبّه بالشيطان، الشيطان لا يُرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء ولو رؤي لرؤي في أقبح صورة [3].

قال تعالى: ﴿ أن**هَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنـهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾ [4]، أي في قباحتها 1[5].

---

[1] الرحمن: الآية: 15.

[2] معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، 270-271.

[3] الشيطان أساليبه... آثاره، الأعرجي: السيد سعيد، دار المحجة البيضاء، ط1، 1422هـ - 2001م، بيروت، لبنان: ص11.

[4] الصافات: الآيتان 64-65.

[5] لسان العرب، ابن منظور، مادة شطن، 121/7.

والشيطان نفسه إبليس، وسمي إبليس إبليساً نسبة إلى كلمة ابلس، أي يئس وندم وأبلس من رحمة الله، أي يئس من رحمة الله وندم قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [1].

وإبليس (لعنه الله) مشتق منه، لأنه ابلس من رحمة الله أي أُويس [2] والشيطان من الجن (بالفتح) وهو الاستتار وهو في عرف القرآن نوع من الموجودات ذوات الشعور والإرادة مستور عن حواسنا بحسب طبعها وهم غير الملائكة [3].

وسمي الشيطان خنّاساً لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى رجع وتأخر (أي خنس وسكن) ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته [4].

والشيطان اسم جنس يشمل إبليس وغيره، ونحن لم نر كائناً من جنس خاص يسمى شيطانا، ولكن الوحي أخبر عنه والعقل لا ينفيه فوجب التصديق [5].

وقد ورد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه ذكر أن اسم إبليس (الحارث) وإنما قول الله عز وجل (يا إبليس) يا عاصيُ وسمي إبليس لأنه ابلس من رحمة الله تعالى أي يئس منها [6]. ومعنى الرجيم ورد عن عبد العظيم عبد الله

---

[1] الروم: الآية: 12.

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة ابلس، 482/7.

[3] الميزان، الطباطبائي، 321/7.

[4] الميزان، الطباطبائي، 397/20.

[5] في ضلال الصحيفة السجادية، مغنية: محمد جواد، دار التعارف، ط2، بيروت، لبنان: ص164.

[6] معاني الأخبار، الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت، دار المعرفة، 1399هـ: ص 138.

الحسني أنه قال سمعت أبا الحسن بن محمد العسكري (عليه السلام) يقول: معنى الرجيم أنه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير لا يذكره مؤمن إلا لعنه [7].

وفي الحديث أيضاً: ((إذا ولد المولود لبني آدم قرن إبليس به شيطانا وقرن الله به ملكاً فالشيطان جاثم على إذن قلبه الأيسر والملك قائم على إذن قلبه الأيمن فهما يدعوانه)) [1].

- العداوة بين الإنسان والشيطان

ان الشيطان عدو للإنسان، وعداوته قديمة وشديدة؛ لأنها أخرجته مما كان فيه من مقام، قال الامام زين العابدين عليه السلام: "إِلَهِي إِنَّ الشَّيْطَان.. شديد الخصومة، قديم العداوة، كيف ينجو من يكون معه في دار وهو المحتال؟)"...

وكيف لا يكون شديد الخصومة وهو يتوسل بالوسوسة لتحقيق مراده في زيغ الانحراف: قال الامام زين العابدين عليه السلام: " الشَّيْطَانَ يُوَسْوِسُ إِلَى ابْنِ آدَمَ أَنَّ لَهُ فِي جَمْعِ ذَلِكَ الْمَالِ رَاحَةً وَإِنَّمَا يَسُوقُهُ إِلَى التَّعَبِ فِي الدُّنْيَا وَالْحِسَابِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَة"(إن الشيطان اعتمد التضليل والغواية: يقول الامام السجاد عليه السلام: " إِلَهِي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوّاً يُضِلُّنِي وَشَيْطَاناً يُغْوِينِي)" وقال الامام الصادق عليه السلام: " وَلَا يَغُرَّنَّكَ تَزْيِينُهُ – اي الشيطان– الطَّاعَاتِ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ لَكَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ بَاباً مِنَ الْخَيْرِ لِيَظْفَرَ بِكَ عِنْدَ تَمَامِ الْمِائَةِ فَقَابِلْهُ بِالْخِلَافِ وَ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ الْمُضَادَّةِ بِاسْتِهْوَائِه"

---

[7] م. ن: 139.

[1] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي: محمد باقر تقي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، 140/63.

إن الشيطان مسلط على القلوب فيقول السجاد عليه السلام: " إلهي، جعلت لي عدوا يدخل قلبي، ويحل محل الرأي والفكرة مني، وأين الفرار إذا لم يكن منك عون عليه؟)"

ان الشيطان لا يغفل عنا ونحن عنه غافلون: قال الامام السجاد عليه السلام" لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَ لَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا"

فهذا يوجب على كل انسان ان يكون متيقظا، وان يتعامل مع الشيطان كالعدو في ساحة المعركة، التي توجب على الجندي التيقظ. كما انه لا ينسى ما اصابه من دحور من جراء عدم امتثاله لآدم عليه السلام فذلك المشهد حاضر لديه. ان الشيطان مخادع وماكر محتال: يقول الامام زين العابدين: " فَلَوْ لَا أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَنْ طَاعَتِكَ مَا عَصَاكَ عَاصٍ، وَ لَوْ لَا أَنَّهُ صَوَّرَ لَهُمُ الْبَاطِلَ فِي مِثَالِ الْحَقِّ مَا ضَلَّ عَنْ طَرِيقِكَ ضَال)"

ويقول: " إلهي، إن الشيطان فاجر خبيث، كثير المكر، .ان الشيطان وعلى مر الزمان يتخلى عن اتباعه، قال تعالى: " وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَديدُ الْعِقاب)"

ويؤكد الامام السجاد عليه السلام على هذه الخاصية بقوله: " إِذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ، وَ اسْتَوْجَبْتُ بِسُوءِ سَعْيِي سَخْطَتَكَ، فَتَلَ عَنِّي عِذَارَ غَدْرِهِ، وَ تَلَقَّانِي بِكَلِمَةِ كُفْرِهِ، وَ تَوَلَّى الْبَرَاءَةَ مِنِّي، وَ أَدْبَرَ مُوَلِّياً عَنِّي، فَأَصْحَرَنِي لِغَضَبِكَ فَرِيداً، وَ أَخْرَجَنِي إِلَى فِنَاءِ نَقِمَتِكَ طَرِيداً لَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ لِي إِلَيْكَ، وَ لَا خَفِيرٌ يُؤْمِنُنِي عَلَيْكَ، وَ لَا حِصْنٌ يَحْجُبُنِي عَنْكَ، وَ لَا مَلَاذٌ أَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْك

فنلاحظ عظيم الوصف الذي بينه الامام عليه السلام لخسة هذا المولى، فمن عرف صفات هذا المولى وجب عليه ان يعيد النظر والفكر قبل ان يتولاه.

وهكذا الصراع يستمر بين الانسان والشيطان، وتلك هي سنة الله في الكون منذ خلق السموات والأرض إلى أن يرث الأرض ومن عليها، الصراع بين الحق والباطل، معاداة الباطل للحق ومعادة الحق للباطل ولقد تناول كتاب الله وهو كتاب الهداية و البيان، مسألة العداوة بين إبليس وجنده من جهة والمؤمنين من خلق الله من جهة أخرى بشكل واضح، مبيناً سبب هذه العداوة ومنشئها ومحذراً إتباع الحق من الاغترار بالباطل على أي حال واصل العداوة بين إبليس وآدم وذريته بـ:

- الاستكبار والعلو:

تكرر ذكر قصة خلق آدم وما كأن من إبليس معه، في كتاب الله مرات عديدة بين إطناب وإيجاز وكأن في كل مرة يذكر لأهل الإيمان بأن ما كأن من إبليس **(لعنه الله)** من رفض للسجود لآدم أنما كأن بسبب الكبر والعلو بغير الحق قال تعالى: ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾ [1].

فالمانع له من السجود والداعي له إلى خلافة أمر ربه في ذلك أنه أقوى منه قوة وأفضل منه فضلاً لفضل الجنس الذي منه خُلق وهو النار على الذي خُلق منه آدم وهو الطين، فجهل عدو الله وجه الحق واخطأ سبيل الصواب، إذ كأن معلوماً أن من جوهر النار: الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علواً والذي في جوهرها من ذلك هو حمل

[1] الأعراف: الآية: 12.

الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الآية السابقة على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بأمر ربه فأورثه العطب والهلاك [2].

وبسبب هذا القياس الفاسد المبني على العجب بالنفس والاستكبار عن الحق والعلو على أوامر الله نشأ العداء في نفس إبليس لهذا المخلوق الذي كرمه الله تعالى،فتوعد إبليس (لعنه الله) آدم وذريته من بعده بالحرب والعداء الشديد، كي تكون نهايتهم كنهايته جهنم وبئس المصير [1] قال تعالى:﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً، قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُوراً** ﴾[2]،ينبه تبارك وتعالى عباده على شدة عداوة الشيطان وحرصه على إضلالهم وأنه لما خلق الله آدم استكبر عن السجود له وقال متكبراً:﴿ **قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً** ﴾ [3]،أي من طين، وبزعمه أنه خير منه لأنه خلقه من نار [4].

---

[2] جامع البيان من تأويل آي القرآن، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ – 2002م، 168/8.

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ – 2002م: ص493.

[2] الإسراء: الآيتان 62–63.

[3] الإسراء: الآية: 61.

[4] تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي: ص 493.

المطلب الثاني: أثر البيئة في إفساد الفرد.

يولد الفرد مزوداً بأنواع شتى من الاستعدادات الجسمية والعصبية والنفسية ومنها الدوافع الفطرية والذكاء والمواهب الخاصة واستعدادات مزاجية معينة ومنها درجة من الحيوية وتحمل الصدمات وسرعان ما تعتريه المؤثرات المختلفة من بيئته المادية والاجتماعية والثقافية.

أن أهم المؤثرات هي التي تأتيه من الجماعة الصغيرة التي تحيط به وترعاه في سنوات حياته الأولى وهي الأسرة وبمقدار ما يقطع هذا الفرد من سنوات ليكبر في عمره يتسع محيطه الاجتماعي وتتعدد المؤثرات عليه، فعلى الإنسان أن يختار البيئة الصالحة له لأن كل شيء في البيئة يترك أثراً في النفس يختلف قوة وضعفاً حسب قوة هذا المؤثر، ولكن إذا أردنا الحقيقة فالإنسان لا يستطيع أن يجد بيئة صالحة لا يأتيها الفساد أبداً ولا تهب عليها عواصف الشر، لا سيما المدن التي يكثر فيها الناس من كل جنس وملة، ويوجد بها عوامل الحضارة المتعددة فالإنسان في مثل هذه البيئة أمام عوامل متعددة كل واحدة منها تحاول اقتناصه سواء كأن عن طريق المشاهدة أو السماع فهذه الوسائل جميعها تصل إلى قرارة نفسه محاولة أسرها وغوايتها وهو في الوقت نفسه مضطر إلى الاختلاط بالناس الذي يوجد فيهم الصالح والطالح. وعناصر البيئة متمثلة بـ (الأسـرة) و (المجتمع).

الفرع الأول

الأسرة

الأسرة هي المؤثر الأول وتكاد تكون أقوى المؤثرات في الإنسان لأنها تتسلم الطفل منذ بداية ظهوره على هذه الحياة فتبذر فيه ما تشاء قبل أي مؤثر آخر فهي أول ما يشاهده لعينيه ويبدأ بدرك الأشياء وهو لا يرى أمامه إلا أسرته فيقلدهم وتنطبع أخلاقه بطابع أخلاقهم ويتأثر سلوكه بما يراه من سلوك يقومون به إذا أغلب سنوات الطفولة يقضيها في أحضان تلك الأسرة [1].

فتأثيرها عليه أكثر وأقوى من تأثير جميع مؤسسات البيئة الأخرى بل الأمر أكبر من ذلك فأننا نجد أن نجاح هذه المؤسسات في التأثير عليه يتوقف على اثر الأسرة فأن كانت صالحة فأن تأثير تلك المؤسسات يكون مجدياً فيه وأن كانت فاسدة فأن غالب المجهودات التي تقوم بها تلك المؤسسات تذهب إدراج الريح.

فالأسرة هي أول مجتمع يتصل به في هذه الحياة وعن طريقها يستنشق عبير الخلق السائد في أجوائها ويتلقى الدروس الأولى للإسلام ويتشبع بمبادئه، وعلماء الأخلاق والتربية يجعلون إثر الأسرة بالدرجة الأولى من حيث تكوين الشخصية وتوجيهها [2].

وأن أنحراف الأفراد وجنوحهم، واهتزاز شخصياتهم وعدم استقرارها أنما يعود إلى تلك التربية النفسية في البيت وأن احترام الفرد في الأسرة والتعامل معه كوحدة إنسانية لها مشاعرها الخاصة ينشىء تلك الشخصية القوية التي تستطيع أن تواجه كافة ضغوط

---

[1] منهج التربية الإسلامية، ظ: قطب: محمد، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط6، 1402هـ، 89/2.

[2] ظ: المصري: محمد أمين، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغايتها، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط4، 1398هـ: ص 215-216.

الحياة، ومنها التغلب على تلك العقد النفسية كعقدة الشعور بالاستصغار والخوف والانهزامية والسلبية، أو بتعبير أدق عدم التأثر بمثل تلك العقد بأي شكل من الأشكال، ولذلك كأن إحياء شخصية الطفل واحترامه والامتناع عن تحقيره وإهانته هو الطريق لبناء نفسية الفرد القوية [1].

لو عدنا إلى مجتمعنا الذي نعيش فيه وزرنا السجون ودور البغاء ومستشفيات الأمراض العقلية، ثم دخلنا المدارس وأحصينا الراسبين من الطلاب والمشاكسين منهم والمتطرفين في السياسة والذاهبين بها إلى ابعد الحدود، ثم درسنا من نعرفهم هؤلاء جميعاً لوجدنا أن معظمهم حرموا من الاستقرار العائلي، ولم يجد معظمهم بيتاً هادئاً فيه أب يحنو عليهم، وأُمٌ تدرك معنى الشفقة فلا تفرط في الدلال أو في القسوة، وفساد البيت اوجد هذه الحالة من الفوضى الاجتماعية واوجد هذا الجيل الحائر الذي لا يعرف هدفاً ولا يعرف له مستقراً [2].

وبقدر صلاح الأسرة ورسوخ إيمانها ومعرفتها بالحياة يكون أثرها في تكوين شخصية طفلها على مقتضى تعاليم الإسلام القويمة إذ غالب علماء نفس الطفل يؤكدون على أن المعالم الأساسية لشخصية الطفل تتكون أثناء مرحلة حياته الأولى فالطفل إذا لم يجد له قدرة صالحة في أسرته فأنه غالباً ما يكون متذبذباً بين اتجاهات المجتمع تتجاذبه فيميل حسب التيار الذي يجرفه [3].

---

[1] بناء الأسرة الفاضلة، ظ: عبد الله احمد، دار البيان العربي، بيروت، لبنان، (1410هـ – 1990م)، (د. ن): ص 17–18.

[2] م. ن: ص 17.

[3] مشكلات الشباب في ضوء الإسلام، إسحاق فرحان، دار الفرقان للتوزيع، ط4، 1403هـ، (د. ن): ص53.

أن أكثر الناس المنحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها [4] قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[5].

وبما أن الطفل في بداية عمره علاقته محدودة بمحيط أسرته فأنه لا بد من أن يرضخ لأحكامها التي تصدرها ضده ويعيش في ضوئها فنرى أن الولد الذي يصفه والداه بأوصاف سيئة، أو أنه غبي أو أنه اقل من الأولاد الآخرين، يشعر بنقص يلازمه، وقد يتطور معه ذلك إلى حالة سيئة وهو الإصابة بالمرض النفسي، وعلى العكس من ذلك فيما لو بالغ الوالدان في الثناء عليه فأنه يصطدم بالواقع الخارجي الذي يثبت له أنه على خلاف تصوره عن نفسه [1].

لذلك ينبغي على الأسرة والأم خصوصاً أن يكون حبها التي تضفيه على طفلها معتدلاً، فأن ذلك يساعد على تكوين الحب لديه ويجعله يتوازن مع الكره الفطري الذي ولد مزوداً به إذ كل إنسان يولد وهو مزود بأمور متضادة كالخوف والرجاء والواقعية والخيال والسلبية والايجابية... وغير ذلك وكلها أمورٌ تؤدي عملها في تكوين الشخصية فإذا لم يجد الطفل الحنان والحب الكافي من أسرته لأي سبب من الأسباب فأنه يترتب على ذلك نتائج سيئة إذ يبرر جانب الكره لديه فيكون شخصية حقودة تكره الخير للآخرين أو ربما يصبح شخصية سلبية تنطوي على نفسها ولا تقدم للمجتمع أي نفع، أو

---

[4] تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبوعبد الله، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ - 1998م: ص 142.

[5] التحريم: من الآية: 6.

[1] الأسرة ومشكلاتها، حسن: محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981هـ، (د. م): ص 20-21.

يشب وفي نفسه مرارة تدفعه في مستقبل الأيام إلى الانتقام من المجتمع الذي يحيط به وقد يصل به هذا الأنتقام إلى الانحراف عن الطريق المستقيم [2].

خرج المأمون العباسي للصيد يوماً فمر أثناء الطريق برهط من الأطفال يلعبون، ومحمد بن علي (عليه السلام) واقف معهم لم يتجاوز عمره أنذاك احد عشر سنة فلما رآه الأطفال فر بينما وقف الإمام الجواد (عليه السلام) في مكانه و لم يفر، هذا الأمر أثار تعجب المأمون فسأله: لماذا لم تلحق بالأطفال حين هربوا ؟ فقال له:-

((لم يكن الطريق ضيقاً لأوسعه عليك بذهابي ولم يكن لي جريمة فأخشاها)) فتعجب المأمون من هذه الكلمات الحكيمة والمنطق الموزون والنظرات المتزنة فسأله ما اسمك ؟ قال: (محمد) قال محمد ابن من ؟ فقال: ابن علي الرضا (عليه السلام)، فقال المأمون ذرية بعضها من بعض [1].

أن شخصية الإمام الجواد تدل على تلك التربية التي تلقاها في حجر والده الإمام الرضا (عليه السلام) وتلك النفسية العالية فلا الخوف من السلطان وجنوده أو التحدث مع الكبار بتلك الصورة لتهز من كيانه وثقته بنفسه وليس غريباً الأثر الكبير للأسرة في الجانبي النفسي والعاطفي والروحي على أفرادها [2].

فعدم استقامة الأسرة عبارة عن عدم سلامة وأمن البيت الذي يربى فيه الإنسان، فالكبت والتنازع أو العطف الزائد كل ذلك يوجب عدم استقامة النفس مما يؤدي إلى الانحرافات الروحية.

---

[2] الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ناصر عبد الله: ص 279.

[1] بحار الأنوار، المجلسي، 19/50.

[2] بناء الأسرة الفاضلة، عبد الله احمد: ص 21.

فالأسرة تؤثر في الإنسان تأثيراً يرسم له بشكل واضح وصريح معالم الحياة في المستقبل للأسباب الآتية:

1- في الأسرة ينمو جسم الوليد وعقله ويستفيد كثيراً من الخبرات.

2- يتعلم الإنسان طريقة الأكل ومبادئ الكلام والمشي وارتداء الملابس ويعرف بيئته التي يعيش فيها وما يتطلبه من آداب اجتماعية وحاجات جسميّه ونفسيّه.

3- تنشأ في الإنسان العادات المختلفة والاتجاهات النفسية كالأنانية والغيرة والقسوة والعطف والجد والاستهتار.

4- طبيعة الأسرة تطبع الإنسان بطابعها فقد ينشأ متعصباً أو عدوانياً أو حاداً أو متسامحاً حسب نوع هذه الأسرة.

هذا ما سيتعلمه الإنسان من طريق أسرته بصورة غير مباشرة وغير قصديه فعلى الأسرة أن تعلم أولادها بطرق المباشرة مبادئ الأخلاق والآداب الاجتماعية والاتجاه الديني مستخدماً في ذلك كله جميع وسائل الإرشاد والنصح وأساليب الثواب والعقاب وممارسة الأوامر والنواهي.

الفرع الثاني

المجتمع

لم تستخدم كلمة (المجتمع) في القرآن، بل استخدم بدلاً عنها كلمتا (الأمة) و(القرية) للدلالة على ما نقصده حالياً بكلمة المجتمع وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[2].

---

[1] الحجر: من الآية: 40.

[2] البقرة: من الآية: 213.

والمقصود من المجتمع تلك الجامعات أو الجماعة من الناس الذين يعيشون في ارض واحدة وتوحد بينهم الأنظمة والقوانين والتقاليد والآداب والعادات، ويعيشون حياة اجتماعية واحدة [3].

وقد يُعرّف المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية محدودة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين واللغة والتاريخ والعنصر [4].

والبيئة الاجتماعية هي ما يحيط بالشخص من بيت ومهنة وحكومة وشعائر ومعتقدات وأفكار وأعراف ورأي عام ومثل أعلى والإنسان يتأثر بها سلباً وإيجاباً، فقد تغذيه وترقيه، وقد تضعفه وتفنيه كالنبات في المنبت السوء، وما يزال يضعف حتى يفنى، وفي المنبت الصالح يربو ويشتد، فيعطي أحسن الثمار، فكذلك الإنسان أن نشأ في بيئة صالحة نبت خير منبت وكوّن أحسن تكوين، وأن نشأ في بيئة فاسدة منحرفة خرج كذلك فعمّ شره وكثير من الأمراض الاجتماعية تعود إلى المجتمع كسوء الخلق والتمرد وسوء النظام والإجرام وغير ذلك [1].

وأثر المجتمع لا يقل عن اثر الأسرة بل قد يكون في بعض الأحيان له تأثير أعظم، سيما مع ضعف دور الأسرة، فالمجتمع هو الذي يتلقى الطفل ويحتضنه بعد أبويه وأسرته، وينقل إليه عاداته ومفاهيمه وسلوكه، وفي المجتمع يجتمع كل ما يحمله و

---

[3] المجتمع والتاريخ، مطهري: مرتضى، دار المرتضى، بيروت، 1413هـ - 1993م: ص 19.

[4] المجتمع (بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني)، عبد الجبار: محمد، دار الأضواء، (د. ط)، (د.ت) (د. ن)، ض 5-6.

[1] آداب الصحبة والمعاشرة، ظ: الغزالي، مطبعة العاني، بغداد (د. ط)، (د. ت): ص 72-73.

ينتجه الأفراد المعاصرون من أفكار وعادات وتقاليد وأخلاق وسلوكيات وتصرفات، لذا فأن للبيئة الاجتماعية دوراً كبيراً في قولبة شخصية الطفل و سلوكه.

والإنسان لا يفكر في مجتمعه بصلاح أمره وفساده ولا بعواقب أعماله وتصرفاته، فهو وسط مجتمعه أشبه ما يكون بقطعة صغيرة من الخشب تتقاذفها الأمواج المتلاطمة، ويسير من دون وعي أو إرادة في الوجهة التي يحددها له مجتمعه، ومن الممكن أن يكون شخص ما في قمة التربية والآداب، ويفكر عندما يخلو بنفسه بعواقب سلوكه وتصرفاته لكنه قد يتحول إلى إنسان متوحش بين الجماعة وينقاد إلى سلطة الغريزة ليقوم بأي عمل دون تفكير أو تأمل [2].

فلو افترضنا أن مجتمعاً ما يشكل العقلاء والعلماء والفضلاء والصالحون غالبية أفراده، فأن التوجه العام لمثل هذا المجتمع وحركته الاجتماعية سيكونان مصدراً للخير والصلاح، وسيؤمنان لأفراد المجتمع مزيداً من الرفاهية، ولكن المجتمع الذي يشكل الجهلة والأميون غالبية أفراده، تكون الحركة الاجتماعية فيه في الغالب ضارة وخطيرة، قد تجر على المجتمع مزيداً من الويلات والمصائب [3].

فالمجتمع يساعد على الفساد ويؤدي إلى الهلاك، و طبيعة الناس الضعيفة قليل منهم من يستطيع أن يقاوم عوامل الشر والفتنة، ومن الصعب على الكثير منهم الاعتدال في مجتمع اغلب الذي فيه فسق وفجور [1]، وبناءً على ذلك، نجد أن القرآن يحذر الإنسان من أن يغشى المجتمع الفاسد في فكره وأخلاقه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ**

---

[3] الشاب بين العقل والعاطفة، ظ: محمد تقي فلسفي، 82/2.

[1] منهج القرآن في تربية المجتمع، ظ: عاشور: عبد الفتاح عاشور، مكتبة الخانجي، مصر، ط1: ص 226.

الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشيطان فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

أي لا تقعد مع الذين يستهزؤون بكتاب الله ونهى الله سبحانه وتعالى عن الجلوس معهم إلا أن ينسى فإذا ذكر قام [3].

فالقرآن يحذر من مصاحبة الفاسدين والمنحرفين الذين اتبعوا أهواءهم ونبذوا عقولهم فهؤلاء يغرون النفس بالانحراف، والجماعة الفاسدة لها تأثير كبير على الإنسان بحكم ميل النفس إلى الأهواء والشهوات التي تصاحب سيء الأخلاق وقبائح الأفعال.

ونحن لا نستطيع أن ننكر أصل تأثير البيئة الاجتماعية ونفوذها في تكوين شخصية كل واحد من الناس، وأن هذا التأثير والنفوذ عميق وشامل بالنسبة إلى الأكثرية الساحقة من الناس، فلا ريب أن الفرد في كثير من الأحيان تابع ومحكوم لإرادة المجتمع، بمعنى أن الشخص لا يستطيع أن يقوم بعمل خلاف ما تقتضيه العادات والتقاليد الاجتماعية وهذا الحال ينطبق على لو شجع الناس الفرد ورغبوه في فعل شيء أو لاحظ أن الآخرين يفعلونه فهو يقوم عليه بسهوله، بينما لو كأن وحده أو اسند إليه الأمر فلعله لا يفعله، ومن خلال ذلك يمكن أن نقول أن المجتمع أصل، والفرد فرع وتابع له [4].

وبطبيعة أي إنسان فأن للإنسان غريزة اجتماعية وهذه الغريزة تفرض عليه أن يعيش داخل مجموعة أو بالأحرى داخل مجتمع لا يخرج منه أبداً، وأن تأثير المجتمع

---

[2] الأنعام: الآية: 68.

[3] الجامع لإحكام القرآن، القرطبي، 12/7.

[4] (النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ)، ظ: يزدي: محمد تقي مصباح، دار الروضة للطباعة، بيروت، ط1، 1416هـ – 1996م: ص49.

على إنسان لا يمكن تلافيه أو مقاومته، فالإنسان يتقبل كل ما هو صحيح بنظر المجموعة، ويكره كل ما هو قبيح ومرفوض من قبل المجموعة [1]. ويبدو لي أن أخطر دور للمجتمع في تربية الإنسان يتمثل بـ:

1- رفاق السوء:

سبب ذلك أن للرفاق على الإنسان تأثيراً كبيراً، الأمر الذي يضع هذا الإنسان أثناء مصاحبة هؤلاء الرفاق في خطر الانحراف باعتبار أن حجم التأثير السلبي لأي سلوك أو فكرة يتخذها الرفاق قد يأخذ حجماً كبيراً تصعب مقاومته من قبل الإنسان، فالصديق المنحرف يجر صديقه نحو الضلال والفساد.

فالذي يقيم علاقة صداقة مع رفاق السوء ليس فقط يحرم نفسه من بلوغ الكمال بل أنه يفرط بكمالاته الفطرية وفضائله الطبيعية، وبالتالي سيعرض نفسه لآلام دنيوية وعقاب أخروي، وحينما يبتئس ويشقى ويفقد دينه ودنياه يعض على أصابع الندم ويتمنى لو أنه لم يتخذ فلأناً خليلاً [2].

قال تعالى: ﴿ **يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا** ﴾ [3].

وقد أوصى الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أتباعهم بعدم مصاحبة المفسدين والامتناع عن مجالسهم، لأن رفيق السوء يحاول أن يغرر بصاحبه ويجره إلى المعصية.

---

[1] الشاب بين العقل والعاطفة، ظ: محمد تقي فلسفي، 78/2.

[2] ظ: م. ن، 82/2.

[3] الفرقان: من الآية: 28.

وفي وصية الإمام علي بن أبي طالب لولده الحسن (عليهما السلام) أنه قال فيها: ((... وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فأن قرين السوء يفُرّ جليسه)) [1].

فقرناء السوء يتسلطون على الإنسان، ويغرونه ويهيجونه على ارتكاب المعاصي تهييجاً شديداً.

2- الدولة الحاكمة:

أن لأسلوب حكومة الهيئة الحاكمة دخلاً كبيراً في الشؤون الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، بحيث يمكن معرفة الأوضاع الظاهرية والمعنوية لأمة عن طريق سلوك الهيئة الحاكمة [3] .

في هذا يقول الإمام علي (عليه السلام): – ((الناس بأمرائهم أشبه منهم بآبائهم)) [4].

من قول الإمام يتبين أن الإمام (عليه السلام) يرى أن تأثير الدولة الحاكمة في الفرد ابلغ من تأثير الأسرة عليه.

فالدولة التي يسيطر عليها الاستبداد والتعنت، ولا يحترم فيها القانون والعدل أصلاً ويفقد الحق والأنصاف معناهما فيها، فلا حرية هناك بل يسود سماء الأمة قلق واضطراب ويفقد الأفراد هدوءهم، يقضون ليلهم ونهارهم في الخوف أو يكونون عبيداً لا إرادة لهم، قبال أسيادهم وفي كل لحظة يمكن أن يسيء الحاكم إلى شخص أو أشخاص

[1] وسائل الشيعة، العاملي، 203/3 و 206.

[3] الطفل بين الوراثة والتربية، فلسفي: محمد تقي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط2، 1422 هـ – 2002م، 379/1.

[4] بحار الأنوار، المجلسي، 129/17.

من أفراده، ويحمل كالحيوان المفترس عليهم ويهجم على كرامتهم ووجودهم بلا قيد أو شرط، فينهي بذلك حياتهم، فالحياة في دولة كهذه لا تعني إلا الشقاء والحرمان، وهناك يستحيل على الأفراد الوصول إلى الكمال اللائق بهم كبشر [1].

فكل عمل يقوم به قادة المجتمع في ظل الدولة الحاكمة يؤثر في الإنسان من قبيل عمل الشرطة مع المعتدين وكيفية سلوك الحاكم، وما هو الأساس الذي يقوم عليه الأمر والنهي في المجتمع [2].

وأن حرص الدولة على الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها جعل اغلب الشباب يشعرون أن حياتهم تتصف بالركود وأن الأمل بالحصول على حياة أفضل ضعيف، أن الآباء قد يحملون أفكاراً لا تتماشى مع عقلية الجيل الجديد فأن الشباب يلتجئون إلى تبادل التعلم والأخذ من بعضهم بدلاً من الاعتماد على توجيهات الكبار الأكثر تجربة وبذلك تضعف روابط المودة والاحترام [3].

كل ذلك بدوره يؤثر سلباً على الفرد وعلى نفسيته مما يسبب انحرافه، فشخصية الإنسان لا تتكون ولا تتطور إذا كان في معزل عن المجتمع الإنساني، فالمجتمع له دوره الفعال في تكوين شخصية الفرد، فكل مجتمع له ثقافته الخاصة به التي تشكل على ضوئها نفسية كل فرد من أفرادها والثقافة هي كل ما يكتسبه الإنسان من مجتمعه من معتقدات وقيم وأفكار وسلوك.

---

[1] الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي، 1/380-381.

[2] أسس التربية، ظ: القائمي: د. علي، دار النبلاء، بيروت، لبنان، ط1، 1995م – 1415هـ: ص117-118.

[3] فقه الدولة، الصفار: الشيخ فاضل، مطبعة باقري، إيران، ط1، 1426هـ – 2005م، 2/392-393.

المبحث الثالث
الفطرة وعلاقتها بإصلاح النفس

المطلب الأول: الفطرة.

توطئة:

النفس البشرية حصن أحكمت أقفاله، ولغز معقد اتعب العقول وحيّر الفلاسفة والمفكرين منذ أقدم العصور، وما زالت أقفال الحصن عصين لا يلين، والقرآن تضمّن في كثير من الآيات الكريمة وضع الأسس لتربية النفس من خلال ردها إلى فطرتها السليمة، وتخليصها مما علّق بها من أوضار الوراثة والبيئة وخرافات العرف والتقليد وإتباع الهوى والشيطان.

وتُعد الفطرة السوية التي خلق الله سبحانه الإنسان عليها أصلا ثابتاً من الأصول التي قامت عليها تربية الإنسان المسلم أنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [1].

وعلى الرغم من أن أعظم الأمم والحضارات وكثيراً من المذاهب والفلسفات قد حاولت منذ فجر التاريخ إيجاد هذه التربية المطلوبة لرعاية الفطرة الإنسانية على الوجه الصحيح الذي يحقق للإنسان إنسانيته ويساعده على أداء رسالته في هذه الحياة، إلا أن ذلك لم يتحقق بالصورة المطلوبة التي يرتضيها لعباده في هذه الحياة الدنيا حتى إذن الله – جل في علاه – ببعثة خير البرية ومعلم البشرية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاء بدين الإسلام الحنيف وتربيته الإنسانية التي استقت أصولها وأصالتها

[1] الروم: الآية: 30.

ووضوحها وعالميتها من كتاب الله العظيم هذه التربية التي جاءت بمنهج فريد ومتميز يهتم بالإنسان كله ويُعنى بفطرته التي خلقه الله عليها.

وأن للفطرة في القرآن أهمية كبرى، لأن القرآن يحمل منظوراً خاصاً عن الإنسان، وبما أن القرآن يقول أن للإنسان فطرة فلا بد من معرفة معنى هذه الكلمة وأقسامها وأنواعها وعلاقتها بإصلاح النفس البشرية.

أولاً: معنى الفطرة لغةً:

الفطر الشق وجمعه فطور، والفُطر بضم الفاء ضرب من الكمأة قتال، ورجل فِطر بالكسر للواحد والجميع، والفطير كل ما أعجل عن إدراكه، والفطرة الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه والفطرة الدين [1].

والفطرة: فطر الله الخلق، وهو إيجاده الشيء، وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال، وفطرة الله هي كل ما ركز فيه من قوته على معرفة [2].

قال ابن الأثير في بيان معنى الفطرة لغةً: أن الفطر: الابتداع والاختراع، والفطرة ماله منه [3].

عن ابن عباس قال: (كنت لا ادري ما فاطر السموات والأرض حتى آتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما: أنا فطرتها، يقول ابتدأتها) [4].

---

[1] القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، دار الجيل للطباعة، بيروت، لبنان، (د. ط)، 14/2.

[2] مفردات ألفاظ القرآن، ظ: الراغب: ص 640.

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (606هـ)، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، 1421هـ – 2000م، (د. ط)،457/3.

[4] فتح القدير، الشوكاني، 339/4.

الفطرة اصطلاحاً:

الفطرة هي ما فُطرنا عليه أي ما هو حق وحقيقي في تكويننا ما ينبثق منها هو حقيقة ما يكوّن معالم وجودنا وما لم ينبثق منها هو وهم لا أساس له في وجودنا، والفطرة هي فطرة الله التي فطر كل الناس عليها وهي أحسن تقويم ولا تحتوي إلا ما هو رحماني وسليم [1].

وفطرة الله التي فطر الناس عليها هو الحال والكيفية التي خلق الناس، وهم متصفون بها والتي تعد من لوازم وجودهم والفطرة الإلهية من الألطاف التي خص الله تعالى بها الإنسان من بين جميع المخلوقات، اذ أن الموجودات الأخرى غير الإنسان أما أنها لا تملك مثل هذه الفطرة وأما أن لها حظاً ضئيلاً منها [2].

والفطرة قيل: دين الإسلام والناس مخصوصون بالمؤمنين وقيل: العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم سنماً من ظهره، ورجح الحذاق أنها القابلية التي في الطفل للنظر في مصنوعات الله والاستدلال بها على موجده فيؤمن به ويتبع شرائعه [3].

وقيل: أن الفطرة هي التكوين والخلق الذي أبدع الله تعالى الإنسان عليه، وما أودع الله في هذا التكوين من ميول ونزوع ورغبات وهذه الميول والنوازع في تكوين الإنسان هي التي توجه سلوكه وتضبط تصرفاته وتحكم حياته [4].

---

[1] رحلة في قبول الذات (العودة إلى الفطرة)، الأعرجي: نمير عبد العزيز، دار الهادي للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ – 2002م: ص 8–9.

[2] ظ: الخميني: التوحيد والفطرة، ط1، (2001م – 1422هـ)، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، 7.

[3] الأندلسي: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، (745هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 2007م – 1428هـ، 167/9.

للفطرة وظيفة تحقيق التوازن لأن لها جانبين:

فهي من ناحية تملي على الإنسان دوافعه الذاتية وهي من ناحية أخرى تزود الإنسان بإمكانية حل المشكلة التي تنشأ من التناقض بين تلك الدوافع والمصالح الحقيقية للمجتمع الإنساني وبهذا أتمت الفطرة وظيفتها في هداية الإنسان إلى كماله فلو بقيت تثير المشكلة ولا تموت الطبيعة بحله، لكان معنى هذا أن الكائن يبقى قيد المشكلة، عاجزاً عن حلها، مسوقاً بحكم فطرته إلى شرورها ومضاعفاتها[1].

ثانيا: لفظة الفطرة في القرآن

في القرآن الكريم ثلاثة ألفاظ تدل على معنى واحد:

1- الفطرة:

مادة (فطر) كثيراً ما ترد في القرآن قال تعالى: ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ [2].

فطرة الله التي فطر الناس عليها تعني تلك الهيئة التي خلق بها الإنسان أي أن الله قد خلق الإنسان بهيأة خاصة، بما فيها تلك الخصائص التي أودعها فيه عند خلقه وهي

---

[4] في رحاب القرآن، الآصفي: محمد مهدي، مطبعة باران، طهران – إيران، (د. ط)، 1424هـ – 2003م: ص 213.

[1] هل آتاك حديث مجتمعنا، الموسوي إبراهيم، مطبعة ستار، قم – إيران، ط1، 1429هـ – 2008م: ص 356.

[2] الروم: من الآية: 30، ظ: الأنبياء: الآية: 56، ظ: الأنعام: الآية:: 79، الانفطار: الآية: 1، المزمل: الآية: 18.

فطرته، فالإنسان يولد على نوع من الجبلة والطبع، متهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر لزومها إلا إذا أثرت عليه عوامل خارجية وحرفته عن مساره الطبيعي الفطري[3].

2- الصبغة:

الصبغة نوع التلوين، قال تعالى: ﴿ **صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ** ﴾ [1]، صبغة الله نوع التلوين الذي يلوّن به الله، والصبغة التي لوّن بها الله الناس في بداية التكوين هي صبغة الدين، أنها اللون الربأني الذي لوّن به الله الإنسان في مبدأ الخلق فالقرآن يبين أن الصبغة هي تلك التي صبغ بها الله الإنسان في بدء خلقه [2].

3- الحنيفية:

قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نصرانيا وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [3].

أنه لا يريد أن يقول أن إبراهيم كان مسلماً مثل مسلمي عهد خاتم الأنبياء بل يريد أن يقول أن اليهودية أنحراف عن الإسلام الحقيق والنصرانية أنحراف عن الإسلام، وأن الطريق السوي والإسلام سبيل واحد لا أكثر وهذا دليل على أن القرآن لا يعترف بأديان بل بدين واحد ولذلك فلن نجد في القرآن الدين في صيغة الجمع، لأن الدين

---

[3] الفطرة، ظ: المطهري: الأستاذ مرتضى، مؤسسة البعثة، لبنان –بيروت، ط2، 1412هـ – 1992م: ص 11–13.

[1] البقرة: من الآية: 138.

[2] الفطرة، مرتضى المطهري، 15–16.

[3] آل عمران: من الآية: 67.

فطرة، الدين طريق، الدين حقيقة في طبيعة الإنسان، وتعاليم الأنبياء مبنية على أساس إحياء ذلك الحس الفطري وتربيته [4]. قال تعالى: ﴿ **أن الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام** ﴾ [5].

ينقل الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد، عن زرارة أن الإمام الباقر (عليه السلام) يُسأل مرة عن ((حنفاء لله غير مشركين به)) فقال الإمام (عليه السلام): ((هي الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، قد فطرهم الله على المعرفة)) [1].

وفي حديث آخر عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ((حنفاء لله غير مشركين))، وقلت، ما الحنيفية ، قال هي الفطرة[2].

الحنيفية هي الميل إلى الحق، إلى الله، إلى التوحيد، فالحنيفية مجبولة في فطرة الإنسان أي أن فطرة الإنسان مجبولة على الميل إلى الحق والحقيقة.

ويبدو لي مما مر أن الفطرة والصبغة و الحنيفية كلها تدل على معنى واحد وهي الدين.

ثالثاً: أقسام الفطرة

تنقسم الفطرة بحسب الاستعمال قسمين:

القسم الأول:

---

[4] الفطرة، مرتضى المطهري، 17/16.

[5] آل عمران: من الآية: 19.

[1] التوحيد، الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د. ط)، (د. ت): ص 330.

[2] معاني الأخبار، الصدوق: ص350.

البساطة والسذاجة فيقال عندما يصدر من أحد كلام بما لا يناسب المقام ولربما يوجب الانتقام: أنه قد تكلم به على فطرته اعتذاراً عنه، أي على بساطته، وبهذا المعنى يكون المقصود منها ما يقارب – البله – [3].

القسم الثاني:

عبارة عن جهاز خاص مؤلف من قاعدة آلات وأدوات وهي حواس ظاهرية، وحواس باطنية، ومدركات عقلية، قد أودعها الله الحكيم، ومكون الإنسان، في الإنسان يجمعها أو يرأسها القلب، أو العقل، وخص سبحانه النوع البشري بها على حد تعبير الآية: ﴿ **الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ [1]، لا غيرهم من سائر المخلوقات الحية [2].

رابعاً: أنواع الفطرة:

1- المعارف الفطرية:

المعارف الفطرية: هي التي لا يحتاج الإنسان في إثباتها إلى دليل ويكفي فيها تصور الموضوع والمحمول [*] في الحكم، كما يقول علماء المنطق من دون حاجة إلى إثبات كما نحكم بأن الكل أعظم من الجزء، وبأن الحق والباطل لا يجتمعان في شيء واحد، ولا يكون الأمر الواحد حقاً وفي الوقت نفسه ومن الحيثية نفسها باطلاً (استحالة اجتماع النقيضين وهذه طائفة واسعة من الأحكام يصطلح عليها علماء المنطق بالأحكام

---

[3] الإسلام والفطرة، السوداني: الشيخ موسى الشيخ جعفر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط1، 1394هـ – 1974م: ص 53.

[1] سورة الروم: من الآية: 30.

[2] الإسلام والفطرة، موسى السوداني: ص53.

[*] الموضوع والمحمول هو من أركان القضية الحملية وهي ما حكم فيها بثبوت شيء لشيء أو نفي شيء على شيء فالموضوع هو المحكوم عليه والمحمول هو المحكوم به. ظ: خلاصة المنطق: عبد الهادي الفضلي، ط1، 1415هـ – 1995م، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان: ص 42.

الفطرية ويعرفونها بأنها هي الأحكام التي لا تحتاج بعد تصور الموضوع والمحمول إلى إثبات للحكم وإنما يترتب الحكم على تصور الموضوع والمحمول بصورة فطرية وقهرية والأحكام الفطرية من أهم منابع المعرفة الإنسانية) [3].

2- الميول والنوازع الفطرية:

إلى جانب المعارف الفطرية هناك طائفة أخرى من الأمور الفطرية المودعة في نفس الإنسان بالفطرة وهي الميول والنوازع الفطرية.

وهي الأمور التي يميل الإنسان إليها ويحبها ويسعى إليها من دون وجود عوامل خارجية فالإنسان يحب الصدق ويحب الأمانة ويميل إليهما ويحب الحياء والعفة ويميل ويسعى إليها ويحب الإيثار والتضحية ويسعى إليها ويحب العلم ويحب الجمال ويحب الكمال وينزع نزوعاً قوياً إلى عبادة الله والإخلاص له وذكره وشكره ويتم كل ذلك في نفس الإنسان من دون وجود عوامل خارجية ولا يزيد دور العوامل الخارجية على تأكيد ما أودعه الله في فطرة الإنسان وإثارته [1].

ففي قرارة كل إنسان ميل إلى الحقيقة والقدرة المطلقة وكذلك العلم المطلق، وأن فطرة الإنسان تبحث عن الوجود المطلق والقوي المحض والعليم الصرف وهو الحي الذي لا يموت [2].

---

[3] في رحاب القرآن، محمد مهدي الآصفي: ص 217.

[1] في رحاب القرآن، محمد مهدي الآصفي: ص 217.

[2] العقيدة من خلال الفطرة في القرآن، جوادي آملي: ص 29-30.

المطلب الثاني: القرآن والفطرة الإلهية.

نزل القرآن الكريم ليؤدي ما قصد منه حسب السنة والفطرة الإلهية من الهداية من الضلالة والشفاء من الجهالة، وما زال القرآن إماما يُتّبع وفيصلاً يحكم في النوازل، حتى ساد الجهل واخذ من المسلمين مآخذه [1].

وبما أن عمل القرآن الأول هو رد النفس إلى فطرتها وأساس هذه الفطرة هي التوحيد، فقد جبلت النفس على معرفة ربها وقد تحجبها الغفلة والبيئة والتقاليد أحيانا، ولكن جذور هذه المعرفة عميقة في النفس لا سبيل إلى إنكارها أو التخلص منها، ودليل هذه الفطرة أن الإنسان بطبعه يحس بالحاجة إلى القوة المعينة، والاشراقة الهادية والسكينة المطمئنة، وهو شعور عميق في نفوس البشر وتظهر هذه الفكرة سليمة نقية، حين الحاجة إليها في المصائب والمحن، فإذا ضاقت به السبل وغُلقت في وجهه جميع الأبواب تفتحت نفسه وتوجه بقلبه وحسه إلى القوة التي فطر على الاعتماد عليها والاستعانة بها [2].

طبيعة الإنسان تريد الدين الإلهي كنواة التمر التي تريد أن تصبح نخلة باسقة فأن لها هدفاً ولها طريقاً معيناً من اجل نيل ذلك الهدف فالنواة لا تريد الوصول إلى أهداف أخرى لأن لكل نواة هدفاً واضحاً ولا توجد عدة طرق للوصول إلى ذلك الهدف الأعلى بل هناك طريق واحد مستقيم لا اعوجاج فيه وباجتيازه يمكن الوصول إلى ذلك الهدف [3].

---

[1] الإسلام دين الفطرة والحرية، جاويش: الشيخ عبد العزيز، دار الهلال، (د. ت)، (د. ط): ص 19.

[2] منهج القرآن في التربية، شديد: محمد، المطبعة النموذجية، مصر (د.ت)، (د. ط): ص 82-83.

[3] العقيدة من خلال الفطرة في القرآن، جوادي آملي: ص 106-107.

وأن من الأمور الفطرية التي جبلت عليها سلسلة بني البشر بأكملها بحيث أنك لن تجد فرداً في كل المجموعة البشرية يخالفها، ولن تستطيع العادات والأخلاق والمذاهب والمسالك وغيرها لا يمكن أن تبدلها ولا أن تحدث فيها خللاً، أنها الفطرة التي تعشق الكمال فلو استنطقنا كل فرد من الأفراد وكل طائفة من الطوائف وكل ملة من الملل نجد هذا العشق والحب قد جبل في طينته ونجد قلبه متوجهاً نحو الكمال، بل أن ما يحدد الإنسان ويدفعه في سكناته وتحركاته وكل العناء والجهود المضنية التي يبذلها كل فرد في مجال عمله وتخصصه أنما هو نابع من حب الكمال [1].

غرس الله في كل نفس منذ تكوينها في عالم الأجنة غرائز وميولاً ونزعات لتصدر عنها عقائد وأخلاق وأفعال كلها طيب وكلها ضروري للإنسان في حياته الدنيا وفي العمل للحياة الأخرى وليس في هذه القوى غريزة أو نزعة يصدر عنها الشر ولا يصدر عنها الخير بل كل الغرائز معدة لصدور الخير عنها [2].

في فطرة كل إنسان نزوع قوي إلى الله تعالى، المبدأ الأول للكون وهذا النزوع يتمثل في التدين والعبادة وحقيقة هذا الميل هو النزوع إلى الكمال، فأن في نفس كل إنسان نزوعاً إلى الكمال وهذا النزوع ينبع من أعماق الفطرة، ويطفح على كل اتجاهات الإنسان وأعماله وكل إنسان يلمس من نفسه هذه الحقيقة بوضوح، فهو يحب الكمال في كل شيء ويبحث عن الكمال في كل شيء في خط الفطرة المستقيم، فالنزوع إلى الكمال

---

[1] الأربعون حديثاً، ظ: خميني: ص 110.

[2] القرآن والطبائع النفسية، ظ: علي محمد العماري: ص22.

وحب الكمال واللجوء إلى الكمال شيء كامن في أعماق كل إنسان لا يختلف فيه إنسان عن إنسان إذا لم يطرأ الأنحراف على هذه الفطرة [3].

والقرآن الكريم يخاطب الفطرة البشرية وهي عامة في جميع الناس وطبيعتها لا تختلف في قوم عن الآخرين والكتاب الذي يفي بحاجات الإنسانية هو كتاب الله العزيز لأنه يفي بالمفاهيم الضرورية للفطرة ولو أن الإنسانية تجردت من هواها وجلست في شبه مؤتمر عالمي تتفق على المفاهيم التي تقيم العلاقات بين الدول والأفراد على الحق والعدل والحرية والمساواة لوجدت نفسها مع القرآن وجهاً لوجه سواء أعلنت اعتقادها أم لم تعلن ذلك، لذلك كان القرآن ينسجم مع الفطرة الإنسانية، والفطرة الإنسانية تنسجم مع ما ورد في القرآن [1].

بمعنى أن النفس إذا تجردت من هواها التقت بالقرآن بصفة طبيعية واستجابت لمعانيه الخالدة فتحسب كل نفس بشرية أنه يخاطبها، فالقرآن في كل ما حرّم وما احل يراعي الفطرة منبهاً على جميع عوامل الكمال النفسي معداً الغرائز لقبول ما هو حق مبطلاً جميع عوامل الفساد ولا يحد القرآن من اتجاه الغريزة إلا إذا تعارضت مع غريزة أخرى وكان اثر هذه الغريزة الأقرب أجدى على النفس وأعود عليها بالنفع في دنياها وأخراها [2].

الهداية الفطرية

---

[3] دور الدين في حياة الإنسان، الآصفي: محمد مهدي، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، ط2، 1425هـ - 2004م، (د. ن): ص 85-86.

[1] القرآن والطبائع النفسية، ظ علي محمد العماري: ص 52.

[2] ظ: م. ن: ص 53.

بما أن الفطرة تعني تلك الكيفية المخصوصة التي وجد الإنسان عليها وهي الإقرار بوجوده تعالى ووحدانيته ومعرفته لا دليل على حصرها بالإنسان وحده بل ثم من الأدلة ما يثبت وجودها عند الخلق أجمعين وهذا القرآن بين أيدينا يصرح بذلك قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [3].

وهذه الفطرة الأولى التي فطر عليها الخلق ربما يُعبر عنها أيضا بالهداية الفطرية، فيكون بذلك كل موجود مزوداً بهذا المؤشر الفطري نحو الحق وهذه الهداية الفطرية تحفز الإنسان نحو تحصيل الكمال المطلق [4].

وأن الخلق لو تركوا على ما فطروا عليه لما حادو قيد أنملة عن مراتبهم ولكن الكدوره والتربية غير الصالحة والتعصب الأعمى والانغماس بالماديات والاشتغال بالعادات السيئة و التغافل والتقاعس والتكاسل، كل ذلك يؤدي بالإنسان إلى طمس فطرته و حجب آثارها [1].

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث تناقلته العامة والخاصة وهو: ((كل مولود يولد على الفطرة، فما يزال عليها حتى يعرب عنها لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) [2].

ولا يبعد أن يصدق في حق المهودين والمنصرين والممجسين وغيرهم ممن يربون أبناءهم على الكفر والشرك والبعد عن الدين أنهم ممن بدلوا نعمة الله سبحانه وبتروا في

---

[3] فاطر: من الآية: 1.

[4] معرفة الله، كمال الحيدري، 2/18-19.

[1] معرفة الله، كمال الحيدري، 2/20.

[2] كنز العمال، الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1/261.

خلقه طاعةً منهم لأمر الشيطان الذي اتخذوه من دون الله ولياً قال تعالى: ﴿ **وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ** ﴾ [3]. قال الشيخ الطوسي في معنى: فليغيرن خلق الله (بمعنى دين الله) [4].

ولم يستبعد الطباطبائي هذا المعنى قائلاً: (وليس من البعيد أن يكون المراد بتغيير خلق الله الخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف) [5].

والذي يؤكد هذا المعنى هو أن القرآن الكريم قد عبّر عن الفطرة بأنها خلق الله وأنها الدين القيم، قال تعالى: ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ [6].

قال محمد جواد مغنيه في التفسير الكاشف: (وتعني كلمة الفطرة عند تعميمها وإطلاقها غريزة في داخل الإنسان تقبل الخير حين تعلم أنه خير وتلتزمه لا لشيء إلا لأن الخير يجب أن يقبل ويلتزم وترفض الشر حين تعلم أنه شر أيضا لا لشيء ألا لأن الشر يجب أن يرفض ويجتنب.

هذا إذا خلي الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها، ولم تدنسها العادات والتقاليد وتلوثها الأهواء والأغراض وقد ضرب العلامة الحلي مثالاً لهذه الغريزة بقوله: (لو خُير

---

[3] النساء: من الآية: 119.

[4] التبيان، الطوسي، 334/3.

[5] الميزان، الطباطبائي، 85/5.

[6] الروم: من الآية: 30.

العاقل بين أن يصدق ويعطى ديناراً وبين أن يكذب ويعطى ديناراً لتخير الصدق على الكذب) [1].

فالفطرة السليمة تقتضي المعرفة والتسليم لله تبارك وتعالى والسلوك العملي الحسن، وأن الله تعالى أودع في نفس الإنسان معرفة القيم وضد القيم والتميز بينهما والهم الإنسان من غير تعليم التفريق بين الفجور والتقوى والنزوع إلى التقوى ورفض الفجور [2].

قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ [3].

ويبدو لي أن الفطرة السليمة هي مقتضى وجود كل إنسان سوي بل كل مخلوق، فلا يولد مولود ولا يفطر مخلوق إلا وهو متوج بتلك الكيفية المخصوصة، ولكن كل بحسبه، والهداية والنزوع إلى الهداية مغروسان في عمق نفس الإنسان ودور الأنبياء (عليهم السلام) هو تفعيل هذه الهداية وتذكير الناس بها، كما يأتي أن شاء الله في مبحث القادم.

فالله تعالى أودع في نفس الإنسان قدرة على درجة عالية من الفاعلية لتحصين الإنسان من السقوط في الجرائم وأضداد القيم، فإذا فارق الإنسان في لحظة من لحظات الغفلة جريمة من الجرائم التي يرتكبها الناس تعرض لضغط هائل من قِبَل الضمير باللوم والتوبيخ ليعدل سلوكه ويعود إلى الحالة السوية التي فطر الله تعالى الناس عليها ويمارس الضمير في نفس الإنسان دور المحكمة الداخلية التي تعمل على تقويم سلوك

---

[1] التفسير الكاشف، مغنية: محمد جواد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1978م، 141/6 – 142.

[2] في رحاب القرآن، محمد مهدي الآصفي: ص 226.

[3] الشمس: الآيتان 7–8.

الإنسان وتعديله كلما تعرض للانحراف والسقوط، وهو أقوى عامل من عوامل التحصين داخل النفس، ويمارس الضمير دوره في لوم صاحبه وتوبيخه كلما تعرض لانحراف وسقوط بصورة فطرية.

المبحث الرابع
أثر الأنبياء والأوصياء في تهذيب النفس

توطئة:

أن الإنسان بحسب صبغته وفطرته سائر نحو الاختلاف كما أنه سائر نحو الاجتماع المدني، وإذا كانت الفطرة هي التي تؤدي إلى هذا الاختلاف لم تتمكن من دفعه وكيف يدفع شيئاً ما يجذبه إليه نفسه فرفع الله سبحانه هذا الاختلاف بالنبوة والتشريع بهداية النوع إلى كماله اللائق بحالهم، المصلح لشأنهم.

من المعلوم أن الإنسان غير متمكن من إكمال هذه النقيصة من نفسه فأن فطرته هي المؤدية إلى هذه النقيصة فكيف يقدر على تتميمها وتسوية طريق السعادة والكمال في حياته الاجتماعية وإذا كانت الطبيعة الإنسانية هي المؤدية إلى هذا الاختلاف العائق للإنسان عن الوصول إلى كماله وهي قاصرة عن تدارك ما أدت إليه وإصلاح ما أفسدته فالإصلاح لو كان يجب أن يكون من جهة غير جهة الطبيعة وهي الجهة الإلهية التي هي النبوة [1].

وكل شيء فيه صلاح البشر لا بد من أن يكون ممكناً، إذ المستحيل ذاته يستحيل صلاحه والأمر الممكن الذي فيه صلاح العامة ولا يترتب على وجوده الضرر لا بد من أن يوجد، فلا يترك البشر في ظلام الحياة العتيد من دون أن يبعث فيه أشعة اللطف، إذ عدم إيجاده آنذاك لا يكون إلا مستنداً إلى أحد هذه الأمور، البخل، العجز، الجهل، كل ذلك محال في حق الله الحكيم سبحانه (تقدس ذكره).

إذن لا بد من وجوده، لأن إيجاده لطف على العباد، وأن اللطف يفيض منه، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ** ﴾ [1]. يفعل ما هو لطف بحالهم وأن عدمه يستلزم أنهياراً في النظام الاجتماعي[2].

---

[1] العقائد الإسلامية، الكوراني: الشيخ علي، مطبعة مهر، قم، إيران، ط1، 1419هـ، 108/1.

[1] الشورى: من الآية: 19.

ولما كان هذا العالم، عالم الأسباب، جعل الله سبحانه طريق تكميل النفوس بالسعادات الروحية وأنقاذه من براثن الشقاوة والجهل وأمر الرذائل ببعث النبيين المصلحين العظام، الذين يرشدون الإنسانية التائهة في تؤدة ولين، ويوقظونها من سنة الجهل العميق والأنانية الممقوتة، فأن النفوس البشرية، قابلة ومستعدة للكمال الروحي والرقي المادي ولا يحصلان بطبعهما، بل لا بد من مصلح يطلق على كل إنسان نظرات ثاقبة، ويدعوه إلى ما فيه الخير والصلاح ويحذره من الظلم والفساد [3].

ربما يظن أن الفطرة كافية حين يسيرها العقل في الإرشاد ولكن ظن لا يؤيده الدليل، فأن العقل والفطرة صحبتا الإنسان في اشد عصوره ظلمة فلو كانا كافيين لما نجمت مظالم القرون السابقة، والسر أن العقل يوازن العاطفة ولا بد من أن تنتصر العاطفة على العقل لأن النفس أمارة بالسوء قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي أن النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ أن رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [4] لولا رسول خارجي يعاضد العقل ويغذيه تغذية معنوية فكرية فأن كل بشر في نفسه يحب نفسه وجميع ما يتعلق به من أولاده وعشيرته وأهل بلده ووطنه وحينئذٍ يلاحظ لا محالة في تشريعه ما هو أصلح بحاله وحالهم، فهذا جور في التشريع فلا محيد إلا وأن يكون المشرع هو الله جل ذكره حتى يكون التشريع مطابقاً للعدل المحض[5]. وعلى ضوء ذلك: يلزم إرسال النبيين المصلحين ليعلموا البشر الكتاب والحكمة وما فيه صلاح الدنيا والآخرة ونظام الدنيا

---

[2] وحي الفطرة، الموسوي: مصطفى المحسن، مطبعة أهل البيت (عليهم السلام)، كربلاء، ط2، 1386هـ – 1966م: ص 26.

[3] وحي الفطرة، الموسوي: مصطفى: ص 27.

[4] يوسف: الآية: 57.

[5] وحي الفطرة، ظ: الموسوي: مصطفى: ص 27.

والدين: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [1]. ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَأَنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2].

والنبي له ناحيتان:

الأولى: الناحية البشرية

بها يشترك مع البشر اجمع ذاك في الأكل والشرب والنوم واليقظة والغرائز الجنسية والأطوار الاجتماعية ليألف إليه الناس إذ الإنسان يألف الإنسان.

الثانية: الناحية الروحية:

وبها يمتاز عن بقية البشر، إذ أن الله تعالى زوده بروح قوي وذكاء وافر، وأخلاق فاضلة، وصفات حسنة وحلم واسع، وعلم جم وأدب بارع وصدق وطهارة.

منَّ الله سبحانه على عباده فبعث إليهم الأنبياء والمرسلين ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى ويرشدوهم إلى ما فيه صلاح الدنيا وسعادة الآخرة فكان الأنبياء هم الحجة الظاهرة لله تعالى [3].

قال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام): ((... فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم آيات المقدرة...)) [4].

---

[1] النساء: الآية: 165.

[2] الأنفال: الآية: من 42.

[3] موسوعة الإمام الصادق (النبوة والأنبياء)، القزويني: السيد محمد كاظم، المطبعة العلمية، قم، ط1، 1417هـ، 6/5.

فالأنبياء يستخرجون الكنوز المكنونة في البشر ويثيرون المعادن المختزنة في النفوس وبهذا يسمون بهم إلى الذرى العالية في الكمال والفضيلة والصلاح [5].

المطلب الأول: حاجة الناس إلى النبوة.

بما أن الإنسان معقد التركيب في تكوينه وفي طبيعته وفي تفكيره وفي نفسيته، بل كل فرد من الأفراد يختلف عن غيره في ميوله ورغباته ومزاياه الخاصة به، كما أن فيه نوازع الفساد وحب الشهوات، نظراً لما رُكّب فيه من الغرائز والعواطف والأحاسيس قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [1].

هذا من جهة وفيه بواعث الخير والصلاح نظراً لما وهبه الله تعالى من عقل يهديه إلى الخير وضمير وازع يردعه عن الشر والظلم ويؤنبه على فعل كل أمر قبيح ومذموم، من جهة أخرى ولكن الإنسان ونتيجة لقصوره عن معرفة أسرار الموجودات المحيطة به وعن معرفة ما يضره وما ينفعه ولجهله بأسباب سعادته وشقائه، بل هو يزداد جهلاً بنفسه كلما تقدم عنده العلم بعالم الماديات [2].

---

[4] موسوعة الإمام علي ابن أبي طالب في الكتاب والسنة، الريشهوي: محمد، مطبعة دار الحديث، إيران، قم، ط2، 1425هـ، 74/1.

[5] موسوعة الإمام الصادق، محمد كاظم القزويني، 7/5.

[1] آل عمران: من الآية: 14.

[2] عقائد الإمامية، ظ: المظفر: محمد رضا، مطبعة ستارة، قم، إيران، ط1، 1417هـ: ص280-283.

وأن عظمة الإنسان في روحه ومعنوياته وغرائزه وفطرياته، أشبه ببحر كبير لا يرى ساحله ولا يضاء محيطه وقد خفيت كثير من جوانب حياته ورموز وجوده حتى لُقب بـ (الموجود المجهول) [3].

وبما أن عقل البشر وحده عاجز عن ارتقاء الدرجات لعدم دركه لكثير من الأمور من ناحية ولمغلوبية العقل للشهوات في ما يدرك إلا بمعونة الشرع وبالوعد والوعيد والإرشاد من ناحية أخرى ولو أن الله تعالى أهمل الناس بعدم إرسال الرسل إليهم فيظلون عن سلوك الكمال ولا يكون لله عليهم حجة ولم يكن الصحيح أن يفرق الله بين سعيدهم وشقيهم في يوم القيامة بالثواب والعقاب لعدم إتمام الحجة [1].

ولو اكتفى في هداية الإنسان بالعقل وحده لما عرف الإنسان طريق الكمال بشكل كامل قط، وبمقتضى غريزة حب الذات المودعة في كيأنه يحاول علماً او جهلاً أن يتابع منافعه الشخصية ويهتم بها، فيعجز في تخطيطه ومنهجه عن الخروج من دائرة منافعه الفردية او الجماعية بشكل كامل ولهذا من الطبيعي أن لا تتسم المناهج البشرية بالجامعية والشمولية الكاملة ولكن برامج الأنبياء والمرسلين لكونها من جانب الله العالم

[3] محاضرات في الإلهيات، السبحاني: الشيخ جعفر، مطبعة مؤسسة الإمام الصادق، قم، إيران، ط7، 1425هـ: ص 248-249 .

[1] أصول الدين، ظ: الحائري: السيد كاظم الحسيني، مطبعة شريعت، قم، إيران، ط1، 1424هـ: ص 148.

المحيط الحق مبرأة عن مثل هذه النقيصة [2]. قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالميزان لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ [3].

فالرسل والأنبياء رشحات من العدل الإلهي واللطف الرباني على العباد، وهم يحملون مشاعل الهداية إلى طريق الحق والصواب والهداية بحد ذاتها نعمة من نعم الله عز وجل، بل هي في قمة النعم لأن بها إنقاذ العباد من زلة القدم و بها تبصرتهم في شؤون الحياة و بها إعمار الأرض قال تعالى: ﴿ **رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾ [4].

وعلى أساس اختيار الإنسان وإرادته في الهداية والضلال والتماس الطريق الصحيح الذي يبحث عنه في مجاهل الطرق ويتحراه من بين تكثر السبل كان الله عز وجل لطيفاً بهذا الاختيار فلم يخله من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة [1].

فأن الحاجة إلى النبوة ترتبط بحاجة البشرية إلى التكليف الذي هو طريق التكامل الروحي والاجتماعي ولبلوغ سعادة الدارين، فإذا لم يكلف الله البشر فلا يخلو، أما أن يكون المنزه عن الجهل وأما أن يكون مع علمه بحاجتهم قد حجبهم عن الوصول إلى تكاملهم، وهذا بخل والله تعالى منزه عن البخل، وأما أن يكون عاجزاً عن تكليفهم بما يوصلهم إلى كمالهم والله تعالى منزه عن العجز فأقتضى إذن بحكم عدله ولطفه أن

---

[2] ظ: السبحاني: الشيخ جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، ط2، 1425هـ، مؤسسة الصادق، قم، 116-117.

[3] الحديد: الآية: 25.

[4] النساء: من الآية: 165.

[1] نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، فرج الله: عبد الرزاق، مطبعة كيميا، قم، ط1، 1427هـ: ص 81.

يكلفهم بما يوصلهم إلى كمالهم وسعادتهم، ويتوقف إيصال التكليف إليهم على بعث الرسل والأنبياء [2].

قال القاضي عبد الجبار: (أنه قد تقرر في عقل كل عاقل وجوب دفع الضرر عن النفس، وثبت أيضا أن ما يدعو إلى الواجب ويصرف عن القبيح فأنه واجب لا محالة، وما يصرف عن الواجب ويدعو إلى القبيح فهو قبيح لا محالة، اذا صح هذا، كنا نجوز أن يكون في الأفعال ما اذا فعلناه كنا عند ذلك اقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات، وفيها ما اذا فعلناه كنا على خلاف من ذلك ولم يكن في قوة العقل ما يعرف به ذلك ويفصل بين ما هو مصلحة ولطف وبين ما لا يكون كذلك فلا بد من أن يعرفنا الله تعالى مجال هذه الأفعال كي لا يكون عائداً بالنقص على غرضه بالتكليف، وإذا كأان لا يمكن تعريفنا ذلك الا بأن يبعث إلينا رسولاً مؤيداً بعلم معجز دال على صدقه فلا بد من أن يفعل ذلك) [3].

ونستنتج مما تقدم:

1- أن المساحة التي يحكمها عقلنا وإدراكنا مساحة صغيرة تضيؤها أشعة العلم، اما ما هو الواقع وراء ذلك فلا علم لنا به إطلاقا فيأتي الأنبياء ليلقوا لنا الضوء على مناطق أوسع بالقدر الذي نحتاجه.

2 – أن إرسال الأنبياء وبعثتهم كان من باب اللطف الإلهي بالعباد.

---

[2] نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، عبد الرزاق فرج الله: ص 82.

[3] شرح الأصول الخمسة، الهمداني: القاضي عبد الجبار بن احمد (ت: 415هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ – 2001م: ص 381.

3- حاجتنا إلى التربية الأخلاقية على يد مرب ينقذنا من طغيان غرائزنا، ويزرع في نفوسنا أصول الفضائل والأخلاق بأعماله وأقواله.

المطلب الثاني: تزكية النفوس هدف الأنبياء الكبير.

كان أكبر أهداف الأنبياء تهذيب النفوس الإنسانية وتزكيتها وتربيتها حيث كان موضوع التعليم والتربية مهماً إلى درجة أنه أصبح الهدف من إرسال الأنبياء، وقد مَنّ الله تعالى على عباده في هذا المجال، أن الشخصية الفردية والاجتماعية والسعادة أو الشقاء الدنيوي والأخروي للإنسان يرتبط بهذا الموضوع.

يعتبر بناء النفس أمراً حياتياً ومصيرياً للإنسان جاء الأنبياء كي يرشدوا البشر إلى طريق بناء النفس وتربيتها وتكميلها وحتى يكونوا عوناً في هذا الأمر الحياتي المصيري، جاء الأنبياء ليطهروا النفوس الإنسانية من الرذائل والأخلاق السيئة والصفات الحيوانية وليربوهم على فضائل الأخلاق ومكارمها، جاء الأنبياء كي يعلموا الناس درس تزكية النفس وليكونوا سنداً في طريق معرفة الأخلاق السيئة وكبح الميول والرغبات النفسية فينزهوا نفوسهم من المبادئ والمعاصي عبر التحذير والتخويف [1].

فالأنبياء (عليهم السلام) بعثوا لإصلاح النفس وتهذيب الروح لأن الإنسان إنسان بنفسه، إنسان بروحه، وأن أمراض الروح اعقد من أمراض البدن، ودور الأنبياء (عليهم السلام) بعثوا ليعالجوا ما لا يصل الإنسان بنفسه إلى طريق معالجته، بعثوا ليعالجوا أمراض النفس، ويقرروا دساتير روحية بها يتكامل الإنسان ويخرج من دور الطفولة

[1] تزكية النفس وتهذيبها، الاميني: الشيخ إبراهيم، دار البلاغة، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م، (د. ط): ص 11.

والبهيمية الوحشية، فيكون إنساناً كاملاً بل أعلى من إنسان، فهم (الأنبياء) يخاطبون النفس لأن هدفهم تكامل النفس [2].

والنفس تمرض كما يمرض الجسد، وأمراض النفس كثيرة ومتعددة كالأنحراف عن هدي الله عز وجل بالنفاق، أو باقتراف الذنوب والمعاصي أو بالشبهات والأوهام والشكوك وغير ذلك، وقد بعث الله تعالى الأنبياء رحمة للعالمين، اذ أنهم هم أطباء الأرواح والنفوس إذا مرضت [1]، وبهذا وصف الإمام علي (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)بقوله: ((طبيب دوار بطبه قد احكم مراهمه، وأحمى مواسمه بضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمي، وآذان صم، وألسنة بكم، متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة)) [2].

أن الهدف الرئيس من بعثة الأنبياء هو تربية الإنسان كما أنه من الواضح أنه في عملية التربية يجب أن يتوفر الجانب العملي في المربي فأنه أكثر تأثيراً من الجانب اللفظي، إذ أن أنماط السلوك عند المربي يمكنها أن توجد تحولات عميقة الأثر في حياة الإنسان وذلك لأن مبدأ المحاكاة وهو من المبادئ النفسية المسلمة يدفع الإنسان ليحاكى شيئاً فشيئاً وذلك السلوك الأمثل للمربي ويتخلق بأخلاقه ويسلك طرائق سلوكه حتى

---

[2] الجواهر الروحية، ظ: النجفي: حسن القبانجي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1381هـ – 1961م، 3/454–455.

[1] الإسلام والمنهج النفسي في أصول العقيدة، العامر: فارس علي: لسان الصدق، قم المقدسة – إيران، ط1، 1426هـ – 2005م: ص 74–75.

[2] نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ص 257.

تتحول نفسه إلى نفس شفافة تتقبل الألوان التربوية كما يتقبل سطح الماء الصافي الرقراق أنعكاسات السماء الصافية الزرقاء [3].

فالأنبياء (عليهم السلام) جاءوا من اجل هذا السبب جاءوا لإيقاظ فطرة الإنسان ولتحويل شعوره غير العارف بالأخلاق إلى شعور عارف بها، جاؤوا كي يرشدوا البشر إلى طريق المعرفة والالتفات إلى الفضائل والمكارم، وليعينوهم في طي مدارج الكمال ونيل مقام القرب الإلهي.

هذه مهمة الأنبياء وأوصيائهم هي تربية البشر من موقع الأبوة الحياتية التي تتحمل كل جهد وعناء وتعب وبلاء من اجل إيصال من هم تحت تكفل هؤلاء الصفوة إلى كمالهم حتى أن أنفسهم لتذهب حسرات على أولئك المنحرفين [1].

طرق الأنبياء في تهذيب النفوس:

1- الحكمة والموعظة الحسنة:

أن أساليب الشدة والعنف في تربية الناس منفرة لنفوسهم عقيمة الأنتاج ارشد الله سبحانه وتعالى رسله إلى أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أن رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [2].

---

[3] دروس في أصول الدين، لجنة التحرير، مؤسسة في طريق الحق، قم، إيران، (د. ط): ص 157.

[1] دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، ظ: العاملي: جعفر مرتضى، مركز جواد، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ - 1993م: ص 14/4.

[2] النحل: الآية: 125.

يستفاد من الآية أن هذه الثلاثة: (الحكمة، الموعظة، المجادلة) من طرق التكليم والمفاوضة فقد أمر بالدعوة بأحد هذه الأمور فهي من أنحاء الدعوة وطرقها وأن كان الجدال لا يُعد دعوة بمعناها الأخص.

وقد فُسرت الحكمة، كما في المفردات – إصابة الحق بالعلم والعقل [3]، والموعظة: التذكير بالخير فيما يرق له القلب [4]، والجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة [5].

والتأمل في هذه المعاني يعطي أن المُراد بالحِكمة: –الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب، لما فيه من صلاح حال السامع من الغير والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك [1].

والجدال هو الحجة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصر عليه وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلمه هو والناس أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حجته [2].

أمر الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدعو عباده المكلفين بالحكمة وهو أن يدعوهم إلى أفعالهم الحسنة التي لها مدخل في استحقاق المدح والثواب عليها والموعظة الحسنة، معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه

---

[3] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ص 249.

[4] م. ن: ص 876.

[5] م. ن: ص 189.

[1] الميزان، ظ: الطباطبائي، 372/14.

[2] ظ: م. ن، 372/14.

الترغيب في تركه والتزهيد في فعله والجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وفيه الرفق والوقار والسكينة مع نصرة الحق بالحجة [3].

فاتبع القرآن منهج مخاطبة العقل والألفات إلى مختلف الظواهر القائمة في عالم التكوين سواء فيما يتعلق بالظواهر السماوية والأرضية أو التي تختص بالنفس الإنسانية أو السنن التي تتحكم في تاريخ الإنسان التي يمكن للعقل الإنساني أن يدركها ويفهمها من اجل أن يرسم للإنسان الطريق الصحيح المستقيم نحو الكمال والسمو [4].

2- القدوة الحسنة:

من أهم العوامل التي لها تأثيرها الفاعل في التربية وفي إرشاد الإنسان وتكامله وجود القدوة في العمل والأنبياء الإلهيون الذين يمثلون الإنسان الكامل والذين نشأوا في ظلال التربية الإلهية بالإضافة إلى التعليمات والمعلومات التي يزودون بها البشرية يقومون بمهمة تربية الناس وتزكيتهم [1].

والقدوة الحسنة من أهم شروط التربية المؤثرة في كون المربي في ذاته وأخلاقه وإعماله قدوة حسنة ملتزماً جميع ما يأمرهم به ومجتنباً جميع ما ينهاهم عنه [2].

---

[3] التبيان، الطوسي، 14/439-440.

[4] القدوة الصالحة ودورها في عملية البناء، الحكيم: محمد باقر، مؤسسة دار التبليغ الإسلامي، (د. ط)، (د. ن)، (د. ت): ص 9.

[1] دروس في العقيدة الإسلامية، اليزدي: محمد تقي مصباح، مطبعة سبهر، (د. ن)، (د. ط)، 1417هـ - 1997م: ص 212-213.

[2] العقيدة الإسلامية وأسسها، الميداني: عبد الرحمن حسن حنبكة، دار القلم، دمشق، ط3، 1403هـ: ص 311.

أن الله سبحانه وتعالى يرسل إلى الناس إنساناً يتمتع بالتربية الكاملة ويتحلى بدرجة عالية من التزكية والخلوص ويكون مثالاً نابضاً يجسد مقولات التربية الإلهية في حياة الناس ليضطلع بمهمة تربية الناس ثم إيصالهم إلى الغاية التي خلقوا من اجلها، من الواضح أن هذا الطريق يحضى بدرجة كبيرة من التأثير العملي في واقع الحياة البشرية [3].

قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ أن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أن أُخَالِفَكُمْ إلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ أن أُرِيدُ إلاَّ الإصلاح مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أنيبُ** ﴾ [4].

تتحدث الآية عن قصة نبي الله شعيب (عليه السلام) حيث أنه يريد أن يفهم قومه أن في عمله هذا هدفاً معنوياً وإنسانياً وتربوياً وأن يعرف حقائق لا يعرفها قومه والإنسان دائماً عدو ما جهل، ثم يضيف هذا النبي العظيم قائلاً: (ما أريد أن أخالفكم) فلا تتصوروا أني أقول لكم لا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا المكيال وأنا ابخس الناس أو أنقص المكيال ، وقد اتهموه أنه كان يريد الربح لنفسه فينفي هذا ويقول تعقيباً على ما سبق (أن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) وهذا هو هدف الأنبياء جميعاً حيث كانوا يسعون إلى إصلاح العقيدة وإصلاح الأخلاق وإصلاح العمل وإصلاح العلائق والروابط الاجتماعية وأنظمتها [1].

---

[3] عصمة الأنبياء في القرآن، الجياشي: محمود نعمة، مطبعة ستارة، إيران، قم، ط4، 1428هـ – 2007م: ص 0140

[4] هود: الآية: 88.

[1] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ظ: الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم، الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ – 2007م، 150/6.

مسألة القدوة في الحياة مسألة في منتهى الأهمية حيث أن الإنسان يرسم لنفسه أهدافا معينة في الحياة فأن كانت هذه الأهداف قد نفذها آخرون من قبله يعتبرها سامية في نظره فسرعان ما يطبقها مستلهماً من المطبق الأول أسلوبه ومنهجيته والمسألة اعتيادية بالإضافة إلى أهميتها الكبيرة وخاصة في قضية مجاهدة النفس وتزكيتها والقيم الأخلاقية العالية والتربية المركزة [2].

وبما أن الأنبياء من البشر أنفسهم لا من جنس أخر متباين مع الجنس البشري ولو كان النبي كذلك لصعب اتخاذه قدوة حسنة فحينما يكون النبي من الناس اختاره الله سبحانه لأسباب معينة فهو من صميم المجتمع البشري ويعيش واقعيات الناس ويتداخل معهم فالصورة تكون متكاملة وواضحة مما يوفر على النفس الإنسانية ضغطاً طبيعياً لاستجابة القرار الشرعي والبلاغ الإلهي [3].

ربما كان من أهم الدروس القرآنية التي جسدت طريق التربية الصحيحة هو الاختبار الذي مر به نبي الله إبراهيم (عليه السلام).

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ أني أَرَى فِي الْمَنَامِ أني أَذْبَحُكَ فَأنظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي أن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [4].

فلو أراد الله سبحانه وتعالى أن يربي الإنسان ويصل به إلى الدرجة التي يذبح فيها ولده امتثالاً لأمره عز وجل فهل يكفي أن يعطينا نظرية قرآنية في هذا المجال ؟

---

[2] العقائد الإسلامية (دراسة منهجية في أصول الدين)، مالك: محمد جواد، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ – 1992م: ص 244 .

[3] ظ: م. ن: ص 245.

[4] الصافات: من الآية: (102).

كلا وإنما يختار الله تعالى لتحقيق ذلك المستوى من التربية التي يأمر عبداً من عباده من ذوي التربية العالية والاستعداد الرفيع ليقوم بهذا العمل خارجاً وأمام أعين الخلق ليستطيع أن يربي عن هذا الطريق بقية الناس على الامتثال الحقيقي للابتلاءات الإلهية والتسليم لها، ومن المؤكد أن الوجدان السليم يتذوق مدى التأثير الكبير الذي ينتجه هذا الطريق التربوي [1].

هكذا يتضح أن الطريق الذي له القابلية على جذب الناس نحو التربية الصحيحة وبتأثير فاعل وكبير يتمثل بوجود القدوة التي تمثل أعلى درجات التربية الإلهية القويمة[2].

هذا هو أسلوب القدوة الحسنة في الأنبياء (عليهم السلام)

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [3]،

هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين يقول لهم أن لكم معاشر المكلفين في رسل الله (صلى الله عليه واله وسلم) اسوة حسنة أي اقتداء حسن في جميع مايقوله ويفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسن[4].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **قَدْ كانت لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ** ﴾[5].

---

[1] عصمة الأنبياء في القرآن، ظ: محمود نعمة الجياشي: ص 111.

[2] ظ: م. ن: ص 112.

[3] الأحزاب: من الآية: 21.

[4] التبيان، الطوسي، 8/ 312.

[5] الممتحنة: من الآية: 4.

يقول الله تعالى مخاطباً للمؤمنين و حاثاً لهم على ترك موالاة الكفار و مبيناً لهم أن ذلك غير جائز بأن قال قد كانت لكم في ترك موالاة الكفار و ترك الركون إلى جنايتهم أسوة حسنة أي اقتداء حسن في إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) و الذين معه قيل المقصود بهم الأنبياء و قيل الذين امنوا معه[6] .

فلم يكن الأنبياء معلمين فقط بل كانوا قدوة وأسوة حسنة في حياة الناس جميعاً لأنهم يقولون ما يفعلون.

وخلاصة ما تقدم أن التأثير الحقيقي في التربية أنما هو للفعل دون القول ولذا نرى أن الناس يميلون إلى جهة أفعال الإنسان دون أقواله فيما لو خالفت أفعاله أقواله والتربية عن طريق الأفعال هي من أهم الخصائص التي اختصت بها الرسالات السماوية.

المطلب الثالث: العقوبات الشرعية وأثرها في تهذيب السلوك.

توطئة:

ابتعاداً عن كل ما يعكر صفوة الحياة بسبب تجاوزات بعض الناس على بعضهم وتحقيقاً للأهداف السامية التي جاء بها القرآن الكريم والشريعة الإسلامية بغية تحقيق الأمن والاستقرار للبشر وضعت الشريعة أحكاماً مقننة مستمدة من القرآن ضوابط لحفظ

[6] التبيان، الطوسي، 9/ 575.

ذلك بالطريقة التي تتمكن من إخماد نوازع الشر والعدوان في النفس الإنسانية وتغليب بواعث الخير فيها، وللوصول إلى مبتغاها أنطلقت الشريعة الغراء ببرنامجها التنويري معتمدة الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن أساليب لها في كثير من الأحيان، وهذا ما بينته سابقاً في مباحث سابقة، فأن لم تنفع هذه الأساليب أخذت أساليب رادعة أخرى يقصد منها تطهير الإنسان وتزكيته والعقوبة التي هي جزاء وضعته الشريعة الإسلامية للكف عن ارتكاب ما نهت عنه هي واحدة من هذه الأساليب والقصد منها الحيلولة دون المعاودة مرة أخرى، وفيها عبرة للآخرين لتصديهم عن المعاصي وتطهرهم من الذنوب، وقبل البدء بمعرفة العقوبات وما هي آثارها علينا معرفة ما معنى الجرائم التي دعت لتشريع العقوبات.

الجريمة: ما يقترفه الجاني من جرم في حق نفسه أو أسرته أو مجتمعه أو وطنه أو قومه [1].

والجرائم في الشريعة الإسلامية هي محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير [2]، والعقوبات هي المقدرة حقاً لله تعالى ومعنى العقوبة المقدرة أي المحددة والثابتة، ومعنى أنها حق لله تعالى أنها لا تقبل الإسقاط لا من الأفراد ولا من الجماعة، والمراد بالحق عند الفقهاء هو ما يستحقه الإنسان وهو يشمل الحقوق المالية وغير المالية [1].

---

[1] نظرات معاصرة في القرآن الكريم، الصغير: الدكتور محمد حسين علي، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ – 2000م: ص 79.

[2] التشريع الجنائي، عودة: عبد القادر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، 1 /66.

[1] عقوبة الجريمة في الشريعة الإسلامية، الخطيب: الشيخ علي عبد الله، مطبعة دار الحوراء، بغداد، العراق، (د. ت)، (د. ط): ص10.

أما الفرق بين الحق والحكم الشرعي فهو أن الحكم الشرعي هو التشريع الصادر من الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان، والحكم ثابت في عهد المكلف وليس للمكلف إلا الامتثال أو العصيان مع تحمل تبعة ذلك، أما الحق فهو أمر وضعه وتشريعه بيد الشارع ولكن إسقاطه ورفعه بيد صاحبه بالجملة سواء كان للعبد أم المعبود[2].

بعد ما اطلعنا بشكل سريع عن معنى الجريمة والعقوبة نأخذ أنموذجين من الجرائم والعقوبات هي أكثر ارتباطاً وأهمية سواء كان للنفس أم المجتمع الذي يعيش في داخله الفرد ومدى تأثير هذه الجريمة على الفرد ومدى تأثير العقوبة القائمة على تلك الجريمة سواء كان على الفرد نفسه أي الجاني أم على الآخرين بوصفه منفذاً للعقوبة أو المشاهد لتلك العقوبة ومن تلك الجرائم:

1- الزنا

2- الحرابة

وقد أخذت هاتين الجريمتين لأنهما أكثر مساساً بالنفس والمجتمع ومعرفة آثارها ومعالجتها هي أكثر فائدة للنفس الإنسانية والبيئة التي تحيط به وهي موضع حاجة الأمة خاصة في ظل هذه الظروف التي يعيشها مجتمعنا اليوم من عدم الأمن والاستقرار ودخول تيارات التكنولوجيا التي استخدمت لغير ما أريد لها وإلا فهي في خدمة الإنسان من قبيل الكومبيوتر، والانترنت، والفضائيات، والموبايل فقد تسابقت شبكات الانترنت والفضائيات الغربية والشرقية على تقديم آخر صراعات التهتك والانحطاط على الشاشات الخاصة والعامة وهذا بدوره يؤدي الى تدمير الهوية الإسلامية فتضيع من خلالها كل معالم الدين والعادات والتقاليد الحميدة.

[2] دروس في علم الأصول، الصدر: محمد باقر، مطبعة شريعت، قم، إيران، ط2، 1424هـ، 63/1.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. (النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ)، ظ: يزدي: محمد تقي مصباح، دار الروضة للطباعة، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.
2. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، دراسة مقارنة، مقداد يالجن، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1973.
3. الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، حسن أحمد مرعي، الرياض، د. ط، 1396هـ.
4. أحاكم الجاسوس في الشريعة الإسلامية، د. محسن عبد فرحان الجميلي، ط1، دار عمار، الأردن – عمان، 2010م.
5. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، د. عبد الكريم زيدان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982.
6. الأحكام السلطانية، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ)، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
7. إحياء علوم الدين، إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت، د. ط، د. ت.
8. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة، دار القلم، دمشق، د. ط، 1987م.
9. الأخلاق العملية في القرآن، ماجد عبد الله العصيمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1428هـ.
10. الأخلاق الفاضلة، عبد الله ضيف الله الرحيلي، ط2، المدينة المنورة، 1429هـ، 2008م.
11. أخلاق المسلم علاقته بالمجتمع، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، د.ت.
12. الأخلاق النظرية، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، القاهرة، 1975م.
13. الأخلاق بين الفطرة والاكتساب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موقع الشبكة العنكبوتية (Islam web. Net.) في (2002/7/9).

14. الأخلاق في الفلسفة الحديثة، أندريه كريسون، ترجمة عبد الحليم محمود وأبي زكريا، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1948.
15. الأخلاق، أحمد أمين، القاهرة، د. ت0
16. آداب الصحبة والمعاشرة، ظ: الغزالي، مطبعة العاني، بغداد (د. ط)، (د. ت).
17. أدب الدنيا والدين، الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ)، ط4، تحقيق: محمد كريم راجح، دار اقرأ، لبنان، 1985.
18. الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ط1، دار القلم، دمشق، 1986م.
19. الأذكار، للنووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، ط1؛ دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 2004م.
20. الأربعون حديثًا، الخميني، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط3، 1425هـ- 2004م.
21. الارتياب مدخل إلى العداوة، الشيخ علي الصفار: https://saffar.org/?act=artc&id=740
22. الإرهاب الإلكتروني في عصر المعلومات، عبد الله بن عبد العزيز بن فهد العجلان، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول، المنعقد في القاهرة، (4/2/ يونيو 2008).
23. الاستقلال الحضاري، الوحدة للطباعة، بيروت، ط1، 1986.
24. الأسرة ومشكلاتها، حسن: محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981هـ، (د. م).
25. أسس التربية، ظ: القائمي: د. علي، دار النبلاء، بيروت، لبنان، ط1، 1995م – 1415هـ.
26. أسس النظام الاجتماعي، عبد الحميد عيد عوض، ط1، الكويت، 2014.
27. الإسلام دين الفطرة والحرية، جاويش: الشيخ عبد العزيز، دار الهلال، (د. ت)، (د. ط).
28. الإسلام والفطرة، السوداني: الشيخ موسى الشيخ جعفر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط1، 1394هـ – 1974م.
29. الإسلام والمنهج النفسي في أصول العقيدة، العامر: فارس علي: لسان الصدق، قم المقدسة – إيران، ط1، 1426هـ – 2005م.
30. الإسلام وبناء الشخصية، د. أحمد عمر هاشم، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1997.

31. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط2، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، د. ط، 1973.
32. أصول الدين، ظ: الحائري: السيد كاظم الحسيني، مطبعة شريعت، قم، إيران، ط1، 1424هـ.
33. أصول الكافي، الكليني: محمد بن يعقوب، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط5، 1425هـ، إيران.
34. اعلام الهداية، الامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)،لجنة تأليف، المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت(رضي الله عنهم)، لبنان، د. ط، 1430هـ: 6/ 19 – 48.
35. الامام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسة تحليلية، مختار الاسدي (معاصر)، مركز الرسالة، د. ط، د. ت.
36. الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، ط1، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة، 2003م.
37. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ظ: الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم، الأعلمي، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ – 2007م.
38. الأندلسي: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، (745هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 2007م – 1428هـ.
39. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: 1111هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، 1403هـ.
40. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، دار احياء التراث العربي، ط3، د. ت.
41. بحر الدموع، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: جمال محمود مصطفى، ط1، دار الفجر للتراث، لبنان، 2004هـ.
42. البحر المحيط، ابن عباد، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

43. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الصوفي بن عجيبة (ت 1224هـ)، تحقيق: أحمد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 2002.

44. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، 1957م.

45. بناء الأسرة الفاضلة، ظ: عبد الله احمد، دار البيان العربي، بيروت، لبنان، (1410هـ - 1990م)، (د. ن).

46. البيت الإسلامي، مقداد يالجن، مصر، د. ط، 1972.

47. تاريخ مدينة دمشق، الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: 571 هـ)، دراسة وتحقيق:علي شيري، دار الفكر دمشق، د. ط، 1419هـ.

48. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي الزيلعي، فخر الدين الحنفي (ت 743هـ)، المكتبة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، 1313هـ.

49. تبيين كذب المفتري فيما نسب للامام ابي الحسن الأشعري، ابن عساكر، أبي القاسم علي بن هبة الله الدمشقي (ت 571هـ)، تحقيق: زاهد الكوثري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ.

50. التجسس وأحكامه، محمد الدغمي، درار المعرفة، د. ط، د. ت.

51. تحذير المسلمين من السخرية والاستهزاء بالدين، جمع وتحقيق: عبد الله بن جار الله جار الله، د.ط، 1409.

52. التحرير والتنوير، محمد الطاهر محمد بن عاشور (ت 1393هـ)، دار سحنون، تونس، 1997.

53. تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبوعبد الله، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ - 1998م.

54. تذكرة خواص الامة في خصائص الأئمة، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله سبط بن الجوزي (ت: 654هـ)، مؤسسة أهل البيت، بيروت، د. ط، د. ت.

55. التذكرة، هاشم محمد، دار الأقلام، الكويت، 1987م.

56. التربية الأخلاقية، أميل دور كايم، ترجمة: محمد بدوي، القاهرة، د.ت.

57. تزكية النفس وتهذيبها، الاميني: الشيخ إبراهيم، دار البلاغة، بيروت، لبنان، 1421هـ – 2000م، (د. ط).

58. التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت،

59. التشريع الجنائي، عودة: عبد القادر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

60. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، 1405هـ.

61. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود العمادي محمد بن محمد المصطفى (ت 982هـ)، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

62. تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التأويل، علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت 741هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

63. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ – 2000 م.

64. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ – 1999 م.

65. التفسير الكاشف، مغنية: محمد جواد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1978م.

66. تفسير المراغي، المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط1، الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1946.

67. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.

68. التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسؤولة الاجتماعية، ميسون، محمد عبد القادر، بحث تكميلي، كلية التربية، غزة، د. ط، 2009.

69. التنابز بالألقاب وآثاره المذمومة، د. أحمد كافي، بيروت، د. ط، د.ت.

70. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بـ (مجموعة ورام)، الاشري: أبو الحسين ورام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

71. التنظيمات العسكرية في عصر النبوة والخلافة الراشدة، اللهيبي، محمود تركي فارس، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 1995.

72. تهذيب الأخلاق، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 55هـ)، دار الصحابة للتراث، القاهرة، د.ت.

73. تهذيب الأخلاق، أحمد بن يعقوب (ت 421هـ)، ط1، بيروت، 2001م.

74. التوحيد والفطرة، ظ: الخميني، ط1، (2001م - 1422هـ)، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان.

75. التوحيد، الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د. ط)، (د. ت.

76. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ - 2002م.

77. جامع البيان في تفسير آي القرآن، محمد بن جرير (310هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992.

78. جامع البيان من تأويل آي القرآن، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ - 2002م.

79. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي (ت 795هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

80. جرائم التجسس في التشريع العراقي د. سعد إبراهيم الأعظمي، ط1، بغداد، 1981م.

81. جريدة الجزيرة، الرياض، 10 شباط 2013م، ص؟؟؟؛ النهي عن السخرية بالناس واحتقارهم، أمين بن عبد الله الشقاوي، مكة، د.ت.

82. الجواهر الروحية، ظ: النجفي: حسن القبانجي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1381هـ – 1961م.

83. الحديث النبوي الشريف وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ط6، دار الشروق، القاهرة، 2006م.

84. حرمة المسلم على المسلم، د. ماهر ياسين الفحل، بغداد، 2006.

85. خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسين، ط1، مكتبة المنار، الأردن، د. ط، 1403هـ – 1983م0

86. خطوات الشيطان، الأعرجي: السيد سعيد، دار الرسول الأكرم، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ–2007م.

87. خلاصة المنطق: عبد الهادي الفضلي، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ – 1995م.

88. خلق المسلم، محمد الغزالي، بيروت، د. ط، د.ت.

89. داء ودواء، سلمان نصيف الدحدوح، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط1، د.ت.

90. دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، جميل مال الله، دار الفكر الاسلامي د. ط، د. ت.

91. دراسات في الثقافة الإسلامية، أمير عبد العزيز، مصر، د. ط، د.ت.

92. دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، ظ: العاملي: جعفر مرتضى، مركز جواد، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ – 1993م.

93. دروس في أصول الدين، لجنة التحرير، مؤسسة في طريق الحق، قم، إيران، (د. ط).
94. دروس في العقيدة الإسلامية، اليزدي: محمد تقي مصباح، مطبعة سبهر، (د. ن)، (د. ط)، 1417هـ - 1997م.
95. دروس في علم الأصول، الصدر: محمد باقر، مطبعة شريعت، قم، إيران، ط2، 1424هـ.
96. دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، تعريب عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، 1973.
97. دلالة السلوك الأخلاقي، د. أحمد الخاني، د. ط، 2014.
98. دنظرات معاصرة في القرآن الكريم، الصغير: الدكتور محمد حسين علي، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ - 2000م.
99. الدوافع النفسية، د. مصطفى فهمي، د.ت، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، القاهرة.
100. دور الدين في حياة الإنسان، الآصفي: محمد مهدي، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، ط2، 1425هـ - 2004م، (د. ن).
101. ديوان أحمد شوقي، القاهرة، د. ط، د.ت.
102. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبي القاسم بن محمد ابن الراغب الاصفهاني (ت 502هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1980م.
103. ربيع الأبرار في نصوص الاخيار، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت: 538هـ)، تحقيق عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، 1412هـ.
104. رحلة في قبول الذات (العودة إلى الفطرة)، الأعرجي: نمير عبد العزيز، دار الهادي للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ - 2002م.
105. رفقاً أهل السنة بأهل السنة، عبد الرحمن بن محمد البدر، ط2، الرياض، 1426هـ.
106. روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، د. ط، 1980.
107. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان (ت 354هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1977م.

108. رياض الصالحين، أبي يحيى بن شرف النووي الدمشقي (631-1676هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقان، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1989م.

109. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت 597هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ط، 1402هـ.

110. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مكتبة المنارة الإسلامية، بيروت، الكويت، ط14، 1986م.

111. السلوك الاجتماعي، أيوب، دار البحوث العلمية، القاهرة، ط2، 1979م.

112. السنة، أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت.

113. سنن أبي داود، أبو داود بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، د.ت.

114. السنن، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، د. ط، 1935.

115. سوء الظن يهدم العلاقات الاجتماعية، محمود عبد العزيز، جريدة الراية، الدوحة، 2016/11/5.

116. سوء الظن، دراسة قرآنية، رنا يوسف موسى زواني، قسم أصول الدين لكلية الدراسات العليا، نابلس – فلسطين، 2014م.

117. الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ناصر عبد الله. بناء الأسرة الفاضلة، عبد الله احمد.

118. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت: 1089هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.

119. شرح الأصول الخمسة، الهمداني: القاضي عبد الجبار بن احمد (ت: 415هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.

120. الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، د. إيمان حسين شريف، الأحد، 22 / ذو الحجة / 1429هـ - 2008م، العدد 1081.

121. الشريعة الإسلامية وفقه الموازنات، عبد الله الكمالي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، د. ط، 1421هـ - 2000م.

122. شعب الإيمان، للبيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.

123. الشيطان أساليبه... آثاره، الأعرجي: السيد سعيد، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.

124. صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت354هـ)، ترتيب علي بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، 1988م.

125. الطب الوقائي النبوي، محمود الحاج قاسم، الموصل، د. ط، 1983م.

126. الطب الوقائي في الإسلام، عمر محمود عبد الله، مطبعة الزهراء، الموصل، ط1، 1990م.

127. طرق تعليم التربية الإسلامية، محمد عبد القادر أحمد، مصر، د. ط، 1983.

128. الطفل بين الوراثة والتربية، فلسفي: محمد تقي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط2، 1422 هـ - 2002م.

129. ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبد الحكيم، الرياض، د. ط، د.ت.

130. عبادة الامام زين العابدين وشرح الصحيفة السجادية، باقر شريف القرشي (ت: 2012م)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف- مؤسسة الامام الحسن (عليه السلام)، النجف الاشرف، د. ط، 1435هـ.

131. عصمة الأنبياء في القرآن، الجياشي: محمود نعمة، مطبعة ستارة، إيران، قم، ط4، 1428هـ - 2007م.

132. العقائد الإسلامية (دراسة منهجية في أصول الدين)، مالك: محمد جواد، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ - 1992م.

133. العقائد الإسلامية، الكوراني: الشيخ علي، مطبعة مهر، قم، إيران، ط1، 1419هـ.

134. عقائد الإمامية، ظ: المظفر: محمد رضا، مطبعة ستارة، قم، إيران، ط1، 1417هـ.

135. عقوبة الجريمة في الشريعة الإسلامية، الخطيب: الشيخ علي عبد الله، مطبعة دار الحوراء، بغداد، العراق، (د. ت)، (د. ط).

136. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، ظ: السبحاني: الشيخ جعفر، مؤسسة الصادق، قم، ط2، 1425هـ.

137. العقيدة الإسلامية وأسسها، الميداني: عبد الرحمن حسن حنبكة، دار القلم، دمشق، ط3، 1403هـ.

138. العقيق: وادي قرب المدينة، وهو أخصب واد هناك؛ ينظر: مشارق الأنوار، القاضي عياض، دار التراث، القاهرة، ط1، 1333هـ.

139. العلاج الإيماني في الطب النفسي، سامي أحمد الموصلي، دار النفائس، بيروت، ط1، 2001.

140. العلاقات العامة الإنسانية، إبراهيم عبد الرحمن وعماد الجربتلي، مطابع الشرق، بيروت، د. ط، د.ت.

141. علم الأخلاق ودوره في تحسين السلوك، ثروت حسن مهنا، الزقازيق، د. ط، د.ت.

142. علم النفس الإسلامي، د. رمضان محمد، الجامعة الإسلامية، بغداد، ط1، 2010م.

143. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد (ت855هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، 2001.

144. عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، شرف الحق أبو عبد الرحمن، تحقيق: أبو عبد الله النعماني الأثري، دار ابن حزم بيروت، 2005.

145. العين، الفراهيدي، عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 175هـ)، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2005م.

146. الغيبة الإلكترونية كل شيء موثق، نورة العطوي، جريدة الرياض، (26/مارس/2015م)، العدد 17076.

147. الغيبة الإلكترونية، د. إبراهيم الزهراني، جريدة الرياض، (26/مارس/2015م)، العدد 17076.

148. الغيبة، لابن تيمية، تحقيق: منير السيد، مكتبة الايمان، الاسكندرية، ط1، د.ت
149. الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة (عليهم السلام)، علي بن محمد بن احمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت: 855هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، 1408هـ.
150. الفطرة، ظ: المطهري: الأستاذ مرتضى، مؤسسة البعثة، لبنان –بيروت، ط2، 1412هـ – 1992م.
151. فقه الدولة، الصفار: الشيخ فاضل، مطبعة باقري، إيران، ط1، 1426هـ – 2005م.
152. الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادئ، حسان محمد حسان، تونس، د. ط، 1987م.
153. فلسفة التربية الإسلامية، عمر محمد التومي الشيباني، طرابلس – ليبيا، ط1، 1985.
154. فلسفة التربية في القرآن الكريم، عمر أحمد عمر، ط1، دار المكتبي، دمشق، د. ط، 2000.
155. في رحاب القرآن، الآصفي: محمد مهدي، مطبعة باران، طهران – إيران، د. ط، 1424هـ – 2003م.
156. في ضلال الصحيفة السجادية، مغنية: محمد جواد، دار التعارف، ط2، بيروت، لبنان.
157. القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، دار الجيل للطباعة، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
158. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، د. ت.
159. القانون الدولي العام، د. علي صادق أبو هيف، مصر – الاسكندرية، ط7، 1965م.
160. القدوة الصالحة ودورها في عملية البناء، الحكيم: محمد باقر، مؤسسة دار التبليغ الإسلامي، (د. ط)، (د. ن)، (د. ت).
161. القرآن والطبائع النفسية، ظ: علي محمد العماري، د. ط، د. ت.
162. قصة الفلسفة الحديثة، زكي نجيب محمود وأحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط5، 1965.

163. القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، د. ط، 1994.
164. القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، أنور الجندي، مطبعة الرسالة، القاهرة، د. ط، د. ت.
165. القيم الإسلامية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، أنور الجندي، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت.
166. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ]، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي، ببيروت، ط2، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧.
167. الكلمات الجارحة وشم مؤلم في اللاشعور، فاطمة الرومي، مجلة اليمامة، مجلة أسبوعية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية،2015/3/5.
168. كنز العمال، الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
169. لُبَاب التَّأْوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف ب تَفْسِيْر الخازن، لعلاء الدّين علي بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1955م.
170. لحوم البشر أشهى مأكولات العصر، عبد الرحمن جمال المراكبي، دار ابن الجوزي، مصر، ط2009،1م.
171. لسان العرب، ابن منظور.
172. لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغايتها، ظ: المصري: محمد أمين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط4، 1398هـ.
173. المجتمع (بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني)، عبد الجبار: محمد، دار الأضواء، د. ط، د. ت، د. ن.
174. المجتمع والتاريخ، مطهري: مرتضى، دار المرتضى، بيروت، د. ط، 1413هـ – 1993م.
175. المجلة العسكرية الأردنية، عدد (43)، سنة (1965م).

176. محاضرات في الإلهيات، السبحاني: الشيخ جعفر، مطبعة مؤسسة الإمام الصادق، قم، إيران، ط7، 1425هـ.

177. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993.

178. المحلى، لابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت: 456هـ)، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.

179. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

180. مدارج الكمال، ظ: الديني: رضا بهاء، دار الرسول الأكرم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ترجمة: إبراهيم الخزرجي، ط1، 1418هـ - 1998م.

181. مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، محسن عبد الحميد، ط2، شركة الرشد، بغداد، د. ط، 2001.

182. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، 1998.

183. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيره، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٤١١ - ١٩٩٠.

184. مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995م.

185. مشكلات الشباب في ضوء الإسلام، إسحاق فرحان، دار الفرقان للتوزيع، ط4، 1403هـ، (د. ن).

186. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت 770هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ.

187. المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية وتشريعها اليوم، محمد عبدة يماني، مجلة جوهر الإسلام، السنة الخامسة، العدد (9–10) يونيو، 1973.

188. معاني الأخبار، الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت، دار المعرفة، د. ط، 1399هـ.

189. المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1983م.

190. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 1407هـ – 1987م.

191. المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د. ط، 1978م.

192. المعجم في الجرائم الماسة بأمن الدولة الخارجي، د. سعد إبراهيم الأعظمي، بغداد، د.ت.

193. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، 1399هـ – 1979م.

194. .المنافقون في القرآن الكريم، إبراهيم النعمة، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، د. ط، 1988م.

195. المنافقون وشعب النفاق، حسن عبد الغني، دار الثقافة، قطر – الدوحة، د. ط، د. ت.

196. منهج التربية الإسلامية، ظ: قطب: محمد، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط6، 1402هـ.

197. منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف، القاهرة، د. ط، د.ت.

198. منهج القرآن في التربية، شديد: محمد، المطبعة النموذجية، مصر د. ط، د. ت.

199. منهج القرآن في التربية، محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، د. ت.

200. منهج القرآن في تربية المجتمع، ظ: عاشور: عبد الفتاح عاشور، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، د. ت

201. موسوعة الأخلاق، أسباب التجسس الممنوع، موقع الدرر السنية www.dorar.com.

202. موسوعة الأخلاق، الشبكة العنكبوتية، 2016/5/2.

203. الموسوعة الأخلاقية، موقع الدرر السنية www.dorar.com.

204. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن، عبد الدائم الكحيل www.lahee7.com/ar.

205. موسوعة الإمام الصادق (النبوة والأنبياء)، القزويني: السيد محمد كاظم، المطبعة العلمية، قم، ط1، 1417هـ.

206. موسوعة الإمام علي ابن أبي طالب في الكتاب والسنة، الريشهوي: محمد، مطبعة دار الحديث، إيران، قم، ط2، 1425هـ.

207. موسوعة نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، مجموعة مؤلفين، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدّة، 2006م.

208. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الفكر، دمشق، د. ط، د.ت.

209. نظام العقوبات، عبد الرحمن المالكي، مطابع دار الغندور، بيروت، د. ط، 1965م.

210. نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، فرج الله: عبد الرزاق، مطبعة كيميا، قم، ط1، 1427هـ.

211. النظم الإسلامية، منير حميد البياتي وفاضل شاكر النعيمي، بغداد، ط1، 1987.

212. النفاق آثاره ومفاهيمه، لعبد الرحمن الدوسري، نشر وتوزيع: مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط1، 1402هـ.

213. النفاق الاجتماعي، محمد سعيد قاسم، موقع صيد الفوائد www.foaid.com.

214. النفاق مفهومه وأنواعه وأسبابه، د. عزت السيد أحمد، مقالة منشورة في موقع منتديات فرسان الثقافة، www.omferas.com.

215. النفاق وخطره على المجتمع، علي حسن الشاطر، جريدة الرياض، (16 اكتوبر 2012م) – (الثلاثاء 30 ذو القعدة 1433)، العدد 1628.

216. النفاق، عبد الجليل مبرور، شبكة الألوكة www.alalwka.com.

217. النفس في الإسلام، علي عبد الحليم محمود، مصر – القاهرة، ط1، 2005م.

218. النفس والإسلام، د. علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر – القاهرة، ط1، 2005م.

219. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د. ط، د. ت.

220. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (606هـ)، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، د. ط، 1421هـ – 2000م.

221. نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط5، د. م، د. ت.

222. النهي عن سخرية المسلم بأخيه المسلم، عبد العزيز الراجحي، الرياض، د. ط، 1404هـ.

223. هل آتاك حديث مجتمعنا، الموسوي إبراهيم، مطبعة ستار، قم – إيران، ط1، 1429هـ – 2008م.

224. الهوى في حديث أهل البيت، الآصفي: محمد مهدي، دار الثقلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ – 1994م.

225. وحي الفطرة، الموسوي: مصطفى المحسن، مطبعة أهل البيت (عليهم السلام)، كربلاء، ط2، 1386هـ – 1966م.

226. وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي: محمد بن الحسن، ط3، 1416 هـ، مطبعة ستارة، قم ا لمقدسة – إيران.

i. news,bbc.co.uk/hi/Arabic/sci/tech/newsid-7589000/7589355.stw.

الفهرس

الفهرس 2
الاهداء 4
الفصل الأول المدخل المفاهيمي 5
مقدمة الكتاب 7
المبحث الأول تحديد المصطلحات وحصر المفاهيم..... 9
المطلب الأول: التعريف بالإمام السجاد عليه السلام. 9
المطلب الثاني: مفهوم الأخلاق. 11
المطلب الثالث: مصادر الأخلاق. 19
المبحث الثاني أقسام الأخلاق في الإسلام..... 30
المبحث الثالث أهمية الأخلاق وأثرها على الفرد والمجتمع 38
المبحث الرابع خصائص الأخلاق الإسلامية..... 47
الفصل الثاني..... 62
الإمام السجاد عليه السلام وتأصيل المعالجات الأخلاقية..... 62
المبحث الأول نظرة الإسلام الى الأمراض الأخلاقية 63
المبحث الثاني سوء الظن 77
المبحث الثالث التجسس 85
المبحث الرابع الغيبة 100
المبحث الخامس النفاق 112
الفصل الثالث فلسفة النفس البشرية وارتباطاتها الواحدة في تراث الإمام السجاد عليه السلام..... 131
المبحث الثاني الشيطان وأثره في فساد النفس 147
المطلب الأول: الشيطان، حقيقته وعداوته للإنسان. 147

المطلب الثاني: أثر البيئة في إفساد الفرد..... 153
المبحث الثالث الفطرة وعلاقتها بإصلاح النفس..... 165
المطلب الأول: الفطرة..... 165
المطلب الثاني: القرآن والفطرة الإلهية..... 173
المبحث الرابع أثر الأنبياء والأوصياء في تهذيب النفس 179
المطلب الأول: حاجة الناس إلى النبوة..... 183
المطلب الثاني: تزكية النفوس هدف الأنبياء الكبير..... 187
المطلب الثالث: العقوبات الشرعية وأثرها في تهذيب السلوك..... 195
المصادر والمراجع..... 198